من عرب مالي

البرابيش

«بنو حسان»

تأليف : بول مارتي

عربه وعلق عليه

ووضع له ملحقات

محمد محمود ولد ودادي

من عرب مالي

البرابيش

«بنوحسان»

تأليف : بول مارتي

عربه وعلق عليه

محمد محمود ولد ودادي

طبع في مطبعة زيد بن ثابت
هاتف : ٢٢٠٩١٦

عدد الطبع (٢٠٠٠) نسخة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ما نزال نواصل ، بترجمة واصدار كتاب ((البرابيش)) ، التعريف بالعرب المتواجدين في البلاد التي تضم أكثرية غير عربية . وهي بلاد تدين غالبية سكانها بالدين الاسلامي الحنيف ، ونعني بها البلدان الأفريقية الشقيقة الواقعة في جنوب الصحراء مثل مالي والنيجر .

والبرابيش المتواجدون في هذه المنطقة منذ القرن السادس عشر الميلادي ، يشكلون ثالث أكبر اتحادية عربية قبلية بعد كنتة(١) وكلنصر (٢) .

وهم ينحدرون من الهجرة العربية الكبرى الى المغرب العربي التي انطلقت من مصر تحت اسم بني هلال . فهم فرع من الأفخاذ العربية التي واصلت الهجرة حتى نهري صنهاجة (سنغال) والنيجر ، وكان لها الفضل في تعريب هذه المنطقة بشكل نهائي ،

---

(١) وتنطق بكسر الكاف (*) او ضمها ، والنسبة اليها كنتي (المؤلف)

(*) ان كسر الكاف ليس ممكنا الا في حالة النسبة (المعرب) .

(٢) كلنصر او كل انتصر (المعرب) .

وترسيخ الدين الاسلامي ولغته ، بفضل الانصهار الذي تم بين السكان الأصليين والمهاجرين الجدد .

والبرابيش كغيرهم من القبائل الكبرى التي نطلق عليها ((اتحادية قبلية)) يضمون في صفوفهم اعدادا مهمة من قبائل شتى ولكنها جميعا تقريبا من أصول عربية صميمة .

وكانوا قد انطلقوا من الجنوب المغربي ثم استقروا بشمال موريتانيا الحالية ، ثم انتقلوا الى غربها ثم شرقها ، ومن هنالك استقروا في غرب الصحراء التابعة الآن لجمهورية مالي الى الشمال والغرب من مدينة تينبكتو . وهذه المنطقة كلها الممتدة من وادي درعه شمالا الى نهر صنهاجة (سنغال) جنوبا ، والى تينبكتو شرقا كانت تعرف ببلاد شنقيط ، وذلك قبل الغزو الاستعماري في نهاية القرن الماضي ، وبداية القرن الحالي الذي قسمها الى دول حسب المصالح الاستعمارية والمناطق الاستعماري .

وقد لعب هؤلاء العرب دورا سياسيا واجتماعيا كبيرا حيثما حلوا ، خاصة انهم يحتلون موقعا استراتيجيا على طريق القوافل الكبرى بين شمال الصحراء وجنوبها . والتي تربط بين جنوب المغرب والجزائر وليبيا ، مع بلاد السودان (١) وجوهرته مدينة تينبكتو الخالدة .

---

(١) يقصد ببلاد السودان هنا ، المنطقة الواقعة الى الجنوب من الصحراء الكبرى من افريقيا السوداء الممتدة من سنغال الى نيجيريا ، وليس جمهورية السودان الحالية التي عاصمتها الخرطوم . (المعرب)

وبلغ نفوذهم حدا كبيرا واحتل العديد من رجالاتهم مراكز حساسة في تينبكتو وساهم في ادارتها وتوجيه سياستها .

والبرابيش ليسوا كلهم في أزواد ، وانما هناك أفخاذ من اصول بربوشية ما تزال تعيش في مناطق عديدة من موريتانيا (١) . ورغم التقسيم الذي قام به الاستعمار ، فان الصلات ما تزال قائمة بين الطرفين .

وسيمكننا المؤلف ـ الذي نعتبره منظرا سياسيا واجتماعيا للادارة الفرنسية ـ من الاطلاع على الدور الذي لعبه البرابيش في مقاومة الاحتلال الفرنسي . ولا نستغرب وصف المؤلف للاحداث بطريقته المنحازة ، وبأسلوبه الفاسي جدا ضد أبطال ، قاوموا الاستعمار بكل الوسائل ، رغم تشتتهم وقلة عددهم وألحقوا به الهزائم المنكرة ، برغم قوته العاتية ، وتصميمه على تحقيق أهدافه مهما بلغت التضحيات والأضرار بالسكان المحليين . فالاستعمار قد كتب التاريخ لصالحه ، وهذا لا جدال فيه .

---

(١) وسنستشهد هنا مع التصرف ، بما جاء في كتاب الحسوة البيسانية في الانساب الحسانية للعالم والنسابة صالح ولد عبد الوهاب الناصري ، المتوفى سنة ١٢٧٢ هـ الموافقة لسنة ١٨٥٥ م ، فقد أورد في بعض حديثه عن البرابيش وعن موقعة بينهم واحدى القبائل الحسانية عند توغ ما يلي : « تفرقت فيها حشاشة البرابيش وهم مائة طفل على ما قيل ، فدخل الحرش منها أولاد يونس وصاروا في عدادهم ، ومنهم برابيش اولاد الناصر ، وبرابيش أولاد علوش ، وأولاد كاني من الزخيمات ، وآغزازير شنقطيط ، والكنابش الذين في أولاد سيدي من الأغلال ، وفي زناقة ، وفي أولاد الفويزي ، وينتسب اليها بعض الصناع ومنهم الظفيرات وأهل بو الخنافر . ومعلوم ان الحشاشة لم تكن كلها من صميم البرابيش لانها على ما قيل مائة طفل ، فلا بدأن يكون فيهم الصميم وهو الاكثر ، والحليف والمولى الاسفل والصانع . . ، ومن بين هؤلاء عائلات عرفت بعلمها وأخرى بمجدها . (المعرب)

والدرس الذي يستخلص دائما من تمكن الاستعمار من الغزو والسيطرة ، هو أنه لو كانت هنالك وحدة بين القبائل ، وبين شعوب المناطق والاقاليم ، لما كانت النتائج التي حصلت . وعلينا ـ كجيل ما بعد الاستعمار ـ أن نضع ذلك نصب أعيننا حتى لا تكون شعوبنا لقمة سائغة للاطماع الاجنبية ، وذلك عن طريق تكاتفنا وتضامننا ووحدتنا .

وعلى القارىء أن يعرف أيضا أن تغييرات جذرية قد حدثت بعد صدور هذا الكتاب في العشرينات من هذا القرن ، وعلى كل المستويات .

ومن أهم هذه التغييرات ، ما سببته كارثة الجفاف التي تدخل اليوم عامها الخامس عشر ، والتي كانت تقضي على السكان الترحل، ودفعت بهم الى القرى والمدن كلاجئين لا حول لهم ولا قوة. كما دفعت بشبابهم الى الهجرة نحو الدول المجاورة والبعيدة أحياناً، طلباً للعيش الكريم ، وخاصة الى موريتانيا والجزائر وليبيا والسعودية .

وأخيرا ، فاننا نرجو أن يكون هذا العمل ، وما قبله ((كنتة الشرقيون)) وأعمال أخرى قادمة بحول الله ، حلقة في المجهود الجاري للتعريف بالعرب وحضارتهم ودورهم في جنوب الصحراء ، حيث كانوا حاملي شعلة الاسلام الحنيف ، والعروبة الصافية وحققوا في العصور الغابرة ، ما نرجو أن يكون مثلا تقتدي به أمتنا العربية الاسلامية ، في مواصلة رسالتها الخالدة والعناية بأبنائها المنتشرين في الدول المجاورة لها خاصة في أفريقيا .

وأخيرا نرجو المعذرة عن كل الأخطاء التي لا يمكن تجنبها في أي عمل انساني . راجين من الله العون والتوفيق .

دمشق : سنة ١٤٠٥ هـ
١٩٨٥ م

المعرب

تمهيد

نود أن ننبه القارىء الكريم الى الصعوبة التي نلاقيها دائما في كتابة الأسماء المحلية ، خاصة ذات الأصول الغير العربية .

وقد اضطررنا الى كتابة معظمها بالطريقة القديمة الواردة في الكتب العربية ، اذ المطابع التي بأيدينا لا تمكننا من الحصول على حروف مناسبة . لذلك استعملنا بالنسبة لأسماء المواضع والأعلام الكاف المعقودة ، التي تنطق كالجيم المصرية ، مثال ذلك :

ايكيدي اسم منطقة

وكاءو مدينة

والهوكار قبيلة طارقية

وفاكيبين بحيرة تمتد من نهر النيجر

وركان منطقة واسم قبيلة أيضا

من جهة أخرى ، استعملنا الاشارة التالية [ ] لوضعها حول الكلمات التي زدناها لتوضيح المعنى والتي ليست في نص المؤلف .

(المعرب)

الباب الأوّل

البرابيش

التاريخ

تقول روايات البرابيش (١) المتداولة بينهم ، أنهم ـ مثل قبيلة الرحامنة المنطلقين من حوزة مراكش ـ ينحدرون من جد واحد هو رحمون بن رزق بن اودي بن حسان .

وكما هو معروف ، فانه خلال القرن الخامس عشر قامت ذراري حسان ، وهي العصائب العربية المسلحة والغازية بقيادة أبناء حسان ، قاموا بالدخول في أقصى الجنوب المغربي ومنه انطلقت الرحلة دون توقف داخل الصحراء الغربية حتى وصلوا الى تخوم السودان ، أي أراضي الزنج الممتدة على الخط الذي يصل بين مدينتي سان لويس [اندر] وتينبكتو .

وهذا الغزو الذي قام به أولاد رحمون ، قد جرى في نفس الوقت داخل موريتانيا وفي اتجاه نهر النيجر . وفي موريتانيا عرف هؤلاء باسم الرحامنة واختلطوا بالتاريخ المحلي . وبجانب نهر

---

(١) بترقيق الراء . (المعرب)

النيجر يقول البرابيش انهم أصبحوا يعرفون بأولاد عبد الرحمن أو أولاد رحمون . وتضيف روايتهم قائلة : « ان هجرتهم كانت على دفعتين » .

وأولى هاتين الهجرتين التي لم تعد اخبارها تذكر تقريبا ، نقلت الأفخاذ الأولى الى شواطيء النهر من غندام الى كاءو على الجانب الصحراوي ، ويذكر أنها جرت في بداية حكم السلطان مولاي أحمد الذهبي ، وذلك في نواحي سنة ١٥٧٨ م . وبنو حسان هؤلاء هم على الأغلب أولاد رحمان أنفسهم ، غير أنهم قد سبقوا كما سنرى بأبناء عمهم أولاد « بربش » بن حم بن حسان ، الذين هم أجداد القبيلة .

وهؤلاء المهاجرون الغزاة،أصبحوا مثل برابيش اليوم أصحاب قوافل الملح الذي كانوا يأخذونه من تغازة ، ثم بعد ذلك بعدةسنوات (حوالي ١٥٨٥) أصبحوا يأخذونه من تادوني .

ومن جهة أخرى ، علينا أن نضيف الى الرواية البربوشية هذه ، النص الوارد في [كتاب] تاريخ الفتاش الذي يذكر وجود مفوض بربوشي بتينبكتو في نهاية القرن الخامس عشر ، أي قبل وصول طلائع هجرة الرحامنة بقرن من الزمن .

ويقول تاريخ الفتاش ان أسكيا الحاج محمد ، كان من عادته عندما يمر بتينبكتو في احدى غزواته أن ينزل بجيشه بين كامبارا وطويا . وبعد ذلك بيوم يزور المدينة بصحبة ضباطه ، ليقيم في حي ياكيندى وينصب خيامه «حيث يكون رؤساء المدينةوالقرىالمجاورة، ورئيس السوق ، والبربوشي مونجو ، — أي مفوض البرابيش — قد أقاموا له العرش الشرفية » .

وعلينا أن نعرف من هم البرابيش المعنيون هنا ؟

ومن الواضح أنه باستطاعتنا الرد على هذا السؤال بثقة : إن قبيلة بربرية « كانت موجودة » منذ عدة قرون قبل وصول طلائع أولاد عبد الرحمن . وقد روضت هذه القبيلة وأخضعت من طرف الهجرات العربية الأولى ، خلال القرن الخامس عشر ، وهي هجرات بني حمّ بن بربش . وانضم هؤلاء المهاجرون الى القبيلة البربرية وعربوها ثم أدخلوها جزئيا « الاسلام » .

ويمكننا اذن أن نؤكد أن البرابيش ينتمون الى ثلاثة أصول هي : مجموعة أولى بربرية طارقية (١) ، ثم مجموعة عربية (حسان أولاد حمّ) ، وأخيرا مجموعة عربية أخرى (حسان أولاد رزق) .

أما الانصهار « الممكن » للبرابيش في بيرورزي ــ الذين يتحدث عنهم الجغرافيون الأوائل ــ والذي يؤكده بارث ، فانه لا يعتمد على أي أساس .

---

(١) طارقي ، والجمع طوارق ، تكتب في كل المخطوطات العربية المحلية بالتاء. ويختلف الناس في المصدر . فمنهم من يقول انه من مادة ترك . او اسم قبيلة بربرية كانت تدعى تركه . وعلى كل فهم لا يعرفون انفسهم بهذا الاسم وانما بأسماء قبائلهم المختلفة .

ويطلق عليهم جيرانهم اسماء مختلفة . فبعض العرب يسمونهم الاعجام . والصونغي يسمونهم صوركو مثل اسمهم للعرب .

ولا شك ان الطوارق احتفظوا بالعادات التي كانت للمرابطين ، خاصة اللثام، وهو شعار قبائل صنهاجة . وقد تعرب الكثير منهم واندمج في القبائل العربية . (المعرب)

ولنعد أولا الى البربر .

ان الرحالة والمؤلفين القدماء أمثال : ابن خلدون وليون الأفريقي ، ومارمول والعلماء المتأخرين ذوي المعلومات الاكيدة ، مثل بارث ودلافوس ، يعترفون جميعا بأن أبناء قبيلة لمطة البربرية هم مؤسسو امبراطورية كاءو ، وأن السلالة الأولى والثانية (جا وسني) تنتميان الى هذا الشعب : « الى السلالة الليبية » كما يقول ليون الأفريقي .

وهذه المعطيات تفترض اذن ، وجود قبائل بربرية من أصل لمطي أو لمتوني في أزواد ، وعلى الضفاف الصحراوية لعقفة النهر .

كما تؤكد المعطيات معلومات أخرى مختلفة . أولها وجود هذا المفوض البربوشي السالف الذكر الذي عرف السيادة خلال السلالتين الأولتين من قومه ، بينما اضطر مع السلالة الثالثة ـ سلالة أسكيا ـ إلى التبعية للسلاطين الزنوج .

وهناك دليل آخر وهو مؤكد جدا يقدمه لنا ليون الافريقي . ففي حوالي ١٥٠٧ « تاريخ زيارته لتينبكتو » « وصل الى سهل أروان الأمير الزناقي الذي جاء لمقابلتنا مصحوبا بخمسمائة رجل يمتطون جميعا الجمال حيث قدم له التجار ضريبة الملح التي يتقاضاها عادة ، وقد دعى الجميع الى مخيمانه » .

وقبل التجار هذه الدعوة ، وكانت ضيافته عظيمة . فقد نحر لهم الإبل وذبح الخراف والنعام تكريما لهم . « وكان الطعام مؤلفا من اللحم المشوي والمطبوخ . وقدم لحم النعام المشوي على الصحون ، مع مزروعات وفلفل أرض الزنج . وكان الخبز عبارة عن عيش

مسحوق من الذرة . كما قدم الحليب والتمر في صحون مليئة . ولاحظ المؤلف ان تكاليف هذه الضيافة كانت أثمن بكثير من الهدية التي قدمها التجار الى الأمير » .

وختم قائلا : « لقد اظهر لنا الكثير من الود والبساطة ، ومع أننا لا نفهم لغته فقد كان أعظم استغرابا منا للغة التي نتحدث بها ، ولكن هذه العقبة قد ذللت عن طريق الاشارة والمباسطة ، حتى فهم كل طرف مقصد صاحبه » . ان وجود هذه القبائل « الزناقية » التي تعيش بطمأنينة في صحراء أروان ، وتتحدث لغة « زناقية » لا يفهمها التجار العرب ، كل هذا يؤكد بجدية أن المعنيين هم أوائل البرابيش ، الذين تذكرهم الروايات الشفهية دون تركيز .

وهؤلاء البرابيش الذين بدأ تعريبهم وإسلامهم من قريب ، ليسوا بالتأكيد الا المجموعات الكبيرة من مخيمات الزناقة والطوارق ، الذين ينتجعون في شمال العقفة وأزواد ، والذين تؤكد وجودهم المخطوطات العربية ، والروايات الشفهية ، خلال القرون الوسطى ، وكانوا آنذاك مجرد ايموشاغن ، وهو الاسم الذي يطلق على مجموعة متماسكة قبل أن تصل الى درجة اتحادية ، تتألف من أفخاذ ذات أصول بربرية ، وبسبب الغزوات العربية المتلاحقة القادمة من الشمال ، فقد تفرقوا أو تحالفوا في قبائل أخرى . وقد سكنت مجموعة منهم تينبكتو والتحقت مجموعات أخرى بالقبائل الطارقية وبإيغلاد المنتجعين على ضفتي النهر لتذوب فيها . أما الباقون وهم الذين نهتم بهم الآن ، فقد بقوا في مناطق انتجاعهم العادية ، وخضعوا لقانون المنتصرين الجدد .

وهؤلاء هم الذين يشكلون السواد الأعظم من قبيلة البرابيش، ويكونون في الخط الثاني بعد الخيام ذات الأصل النبيل ، أي العربي. وهذا السواد الأعظم لا يقدم شجرات نسب ، واذا قدمها فبدون تأكيد ووسط سخرية الحاضرين . ويمكننا الاطلاع على هذه الظاهرة العرقية ، عن طريق مثل حديث لم يعط بعد كل أبعاده لحداثته : وهو مثل مشظوف . لقد أدى احتلالنا للحوض الى عدم استكمال التكوين النهائي لمجموعة مشظوف العربية البربرية الكبرى ، المكونة من أصول شتى . وهكذا افترقت المجموعة ولم يبق تحت اسم مشظوف خلال نصف قرن ، الا انواة الغازية ، والذين هم فعلا من أصل مشظوفي لا غبار عليه .

ولكن البرابيش الذين هم أقدم من ذلك بخمسة قرون قد تمتعوا بالوقت الذي سمح لهم بالاختلاط والانصهار في مجموعة واحدة (١) .

وكنت على ثقة من أنني وجدت اشارة أخيرة في كتاب تاريخ السودان (٢) : ففي عام ١٥٨٢ ، قام اسكيا داوود بتقديم دية الشريف محمد بن منذر عن القتل غير المتعمد لأخيه ، تمثلت في ثلاثة

---

(١) علينا هنا ان لا ننسى هذا الخبر الصادر عن الشيخ سيديا [بابا ولد الشيخ سيديا] ، والذي أبلغني اياه العقيد غادن ، « فبعد الزنوج ، احتل البرابيش الذين هم الآن بأزواد ، بلاد الترارزة ، ثم احتلها العزيزات ، الذين هم ايدوعيش » (المؤلف) .

(٢) تاريخ السودان : تأليف عبد الرحمن السعدي بتحقيق هوداس . المدرس بمدرسة اللغات الشرقية بباريس . اصدار اليونسكو ١٩٦٤ . (المعرب)

أحياء من عبيد السلطان . وأحد هذه الأحيـاء المسمى كيروني ـ سيبونغو (١) يوجد بالمنطقة المحاذية لكندام ، وكان يرأسه يوما ما تلاغا البربوشي . ومن السهل فهم أن تلاغا هذا رئيس القرية ـ ان كان النص صحيحا ـ كان بربوشيا ، أو على الأقل حفيد البرابيش القاطنين على ضفاف النهر الذين بقوا في خدمة الأسكيا من امبراطورية الصونغاي . أما العبيد الزنج كما يوحي اسمهم ، فليسوا الا شوارد من الزنوج ، جمعوا من هنا وهنالك ، واستخدموا في هذه المنطقة التابعة للمتلكات السلطانية .

وفي الحقيقة ، فان دراسة هذا النص العربي ، في عين المكان ، قد سمحت بالتعديلات التالية : فالمعنى ليس تلاغا البربوشي بـل تلافي بن بوشي . وبذلك تسقط الحجة وتبقى الحجـة البديلة هي الأصح . والرواية الحالية عند البرابيش ، لا تؤكد الا قليلا ، وجود أجداد لهم وسلف من البربر .

ولا يوجـد لدى هؤلاء المستعربين أي افتخار بهذه الأصول البربرية . ومع ذلك فعلينا الاعتراف بأن كل البرابيش الذين هم من الدرجة الثانية اجتماعيـا ، ليسوا الا أتباعا . وهم مستقلون كثيرا عن بقية الأفخاذ الذين نعرف أنهم من أصول عربية . وهؤلاء الاتباع مختلطون كثيرا بغيرهم ، مما يتميز عند الاستماع الى لغتهم ، الممتزجـة بالكثير من لغة زناقة ، وهـم يسكنون عادة بالقرب من تينبكتو وعلى ضفاف النهر وفي أزواد .

---

(١) وهذا اللفظ أخذناه من مثقفي كندام ، بدل اللفظ الوارد في ترجمـة هوداس . ودلافوس الذي يجعل الاسم « كيروني ـ بولونغو » .

وهذا كله يسمح لنا بالجزم أخيرا بوجود قبيلة بربرية ، قبل البرابيش ، انضمت نهائيا بمرور الزمن مع العرب المنتصرين عليها ، وتعربت كثيرا بانضمامها اليهم كما اعتنقت الاسلام كلية .

ولنر الآن الهجرات العربية الغازية :

لقد قامت العصائب الأولى من العرب ، وهي أولاد حمّ بن حسان بهذه المهمة ، في الأراضي الواقعة في قلب الصحراء .

ونعرف حسب المتفق عليه والروايات التاريخية الموريتانية ، أن حسان ـ المثال الحي للمهاجر العربي الغازي والذي كان بجنوب المغرب ـ كان له ثلاثة أبناء : ادليم وأودي ، وحمّ (القرن الخامس عشر) .

واختص أدليم وأبناؤه وأتباعه وذراريهم بشاطيء بالمحيط الأطلسي ، ووادي الذهب الحالي ، حيث ما يزال الانتجاع قائما لأولاد ادليم .

واختص أودي وذووه بموريتانيا والساحل السوداني ، حيث ازدهرت شعب « فودي بوبولي » الوارد في خارطة ، غبليو صانتو ، حيث ما تزال قبائل حسان المنحدرة منه تنتجع هنالك .

واختص حمّ ، بقلب الصحراء ، من اكيدي الى نهر النيجر .

وكان لحمّ بن حسان خمسة أبناء : شبل ، عمران ، سعيد ، غنام ، وعكرمة .

وكان شبل جدا لقبيلة أولاد شبل التي كانت تحتل آدرار (الموريتاني) والتي تفرقت وتنتشر الآن من النيجر الى توات . وأولاد غيلان الموجودون هنالك حالياً ليسوا سوى بقية من أولاد شبل . وكان سبب ابعادهم من آدرار انتصار أبناء عمومتهم عليهم

وهم : أولاد رزق بن أودي . وقد استولوا على نخيلهم وممتلكاتهم ، وفقدوا أربعمائة من رجالهم بينهم « بن حوا » الذي لم يتمكن أحد من العثور عليه ومعرفته ضمن القتلى . وهكذا غادر معظم أولاد شبل آدرار مصحوبين بأبناء عمومتهم أبناء عمران وسعيد وغنام ، وعكرمة (١) .

وبقيادة بربش وهو ابن غير محدد من أبناء حمّ ، انتقل هؤلاء الى أزواد في نهاية القرن الخامس عشر وأواسط السادس عشر ، وكانوا أولى العناصر التي عربت ايموشاكن (٢) . وهؤلاء البرابيش ، أو أهل بربش ، هم الذين تتحدث عنهم كتب تاريخ السودان .

وعندما نزور اليوم أحد أفخاذ البرابيش ، مثل أولاد عمران ، واولاد سعيد ، أو أولاد غنام ، نرى أن الأصل التاريخي معرف لديهم حيث يكون ردهم : « نحن ذرية عمران بن حمّ ، أو ذرية زيد بن حمّ أو ذرية غنام بن حمّ . واخوتنا ابناء شبل ، قد تفرقوا ، فانضم منهم البعض الينا ، والبعض الى قبائل أخرى . أما أولاد عكرمة ، فقد انضموا الى أولاد غنام » . ولكنهم لا يعرفون أكثر من ذلك . ولا يمكنهم تحديد زمن هجرتهم ، أو حروبهم مع أولاد رزق .

---

(١) يعتمد المؤلف ـ فيما يبدو ـ في نصه ، ابتداء من توزيع أبناء حسان ، على كتاب الشيخ سيدي المختار عن أنساب عرب بني حسان ، ما يزال مفقودا ، غير أنه بحوزتنا نبذة صغيرة منسوبة اليه . (المعرب)

(٢) يطلق الكتاب العرب على هذا الاسم مقشرن ، وهم الطوارق الذين كانوا أول من بنى تينبكتو . ورغم ان المؤلف يذكر ذلك في حديثه الآتي عن آروان فلم يدرك ان الاسمين هما لمسمى واحد . (المعرب)

ولدينا من جهة أخرى عن طريق مارمول ، معلومات عن (أولاد بربوس) كما يسميهم ، ويؤكد بالتالي ما كنا قد ذكرناه . وهذا نص مارمول :

« تتفرع من أولاد حسان سبع سلالات هي : ادليم ، بربوس ، فودي « أودي » ، الرحامنة ، أعمر ، أبو منصور ، أبو عبيد الله . ويسكن أولاد بربوس أيضا في الصحراء الليبية في اتجاه السوس الأقصى الذي هو أبعد حد لسلطنة المغرب .

ومع كثرة عددهم ، فهم فقراء بالرغم من وجود قطعان من الابل لديهم ، وقد كانوا يوما ما سادة مدينة تست النوميدية » .

بهذا يتأكد الأصل العربي الحساني للبرابيش ، وسنرى من خلال النص التالي لمارمول أن أولاد رحمون هم أخوة لهم ويقطنون معهم مدينة تست نفسها ، والتي لا يمكن أن تكون غير تيشيت . والكاتب يجعل موقع هذه المدينة في نوميديا والتي هي بالرغم من بعض التحديدات الدقيقة ، تعتبر عادة لدى مؤلفي ذلك العصر هي بلاد النوميد أو سكان البادية . ونرى تحت تاودغوست (أو أوداغوست) مكانا يحدده المؤلف موقعاً لنوميديا هذه في الوقت الذي نعرف فيه أن الحاضرتين متجاورتان .

وتحدد خريطة صانون دابفيل الملحقة بكتاب مارمول ، موقع البرابيش بدقة في بداية القرن السابع عشر . فهو يخصص « للشعب » البربوشي ، المناطق العليا من الصحراء فوق « شعب فودي » (أبناء أودي)، الذين خصص لهم غرب تست « تيشيت » .

ويذكر مارمول ايضا في حديثه « أن مساكن نون (قصور وأدنون) تعاني كثيرا من غزوات عرب الصحراء المسمون بيربش » .

ويضيف في فقرة أخرى قوله « ان تسمت (تيشيت) قرية صغيرة أقامها الأفارقة السابقون في أحياء البربش » .

وهنا نصل الى المرحلة الثانية من الهجرة العربية التي قام بها ذراري رحمون بن رزق ، بن أودي ، بن حسان .

ويقول مارمول : « ان أولاد الرحامنة ، يعيشون في الصحراء ويعودون شتاء الى تست ، وكانوا يشكلون فيما مضى أكثر من عشرة آلاف مقاتل ، بينهم سبعمائة فارس ، وقد نقلهم الشريف محمد الذي استعان بهم لاحتلال تست ، الى بربريا ، مكافأة لهم » (١) .

ومن المفيد أن نشير الى أن الهجرة الأولى لأولاد عبد الرحمن الى الصحراء الوسطى ، لم تترك أثرا يذكر في الروايات المحلية . أما بعد ذلك وفي حوالي ١٥٨٠ ، وحسب الروايات المتداولة من قبل العارفين والموروثة عن المهاجرين الغزاة ، فان الهجرة الثانية تركت صداها حتى الآن . فقد قام أولاد عبد الرحمن ، حسب كتّاب

---

(١) انشئت مدينة تيشيت التاريخية وهي اليوم جزء من ولاية تكانت في أواسط موريتانيا ، في القرن الثاني عشر الميلادي ، من قبل الشريف عبد المؤمن جد شرفائها . وقد اصبحت من ذلك التاريخ حاضرة ثقافية وتجارية ، كانت تضاهي شنقيط . وقد انتقل جزء من سكان وادان اليها ، ثم انتقل معظم سكانها الى ولاته ، التي عمّرت بدورها تينبكتو التي كانت وريثة لها .

وهذه الهجرة من الشمال الى الجنوب ، تعود في معظم الاحيان الى الجفاف والتصحر ، الذي تتأثر منه المناطق القريبة من الصحراء شمالا ، ثم ينتقل ببطء الى الجنوب ومعه السكان .

انظر عن منشأ تيشيت ، كتابات المؤرخ الكبير المختار ولد حامد . (المعرب)

الحوليات ، بعد احتلال العقفة من قبل المغاربة (١٥٩١) ، بالوصول الى المنطقة .

ومن المؤكد أن الذي عناه تاريخ السودان ، في الفقرة التالية ، هي أحياء الرحامنة ، المتجهة الى الجنوب الصحراوي ، والتي تحدد خريطة صنصون (١٦٦٥) موقعها جنوب تافيلات وشرق درعه .

« لقد أرسل قاضي تينبكتو ، عمر سنة ١٥٩٢ ، سفارة الى السلطان مولاي أحمد الذهبي ، سلطان المغرب ، ليحقق في أمر دخول سكان المدينة في ثورة على القوات الشريفية ، وأثناء عودة السفارة من فاس ، ووصولها الى تغازة ، علم قائد الحراس المرافق ، القائد بوختير ، وهو مرتزق مسيحي ، بانقلاب السلطان عليهم . فاطلع شمس الدين رئيس السفارة على الأمر ونصحه بالنجاة بنفسه عن طريق الهرب ، (أواخر ١٥٩٣) .

ولجأ شمس الدين عندئذ الى عيسى بن سليمان البربوشي ، رئيس أولاد عبد الرحمن الذي كانت مخيماته آنذاك خلف تغازة . ووضع نفسه تحت حمايته طالبا نقله الى مدينة ودّا . وقد أوصله الزعيم نفسه الى المدينة التي بقي بها حتى عودة عالم تينبكتو أحمد بابا من محنته في مراكش ، حيث أرسل اليه فجاءه في تينبكتو » .

وبذلك يتضح أن البرابيش كانوا يحتلون في نهاية القرن السادس عشر الأراضي المتواجدين اليوم بها ، وانهم لم يهاجروا منها ، كما فعل عدد من جيرانهم مثل كنتة . وأن حمايتهم كانت كافية السلامة من غضب المخزن الشريفي في الشمال ، أو غضب باشا تينبكتو في الجنوب .

وبعد ذلك بعدة سنوات ، قام رئيس البرابيش الفلالي بن عيسى الرحماني البربوشي القاطن قرب تينبكتو ، باجراء أقل شرفا من سلفه ، حيث سلم الباشا المخلوع الذي استجار به ، وهو علي ابن عبد القادر . « فقد سلمه بنفسه في تينبكتو للقاضي ، طالبا منه التوسط لدى الباشا الجديد لصيانة حياته » . ولكن سيد المدينة الجديد أعدمه ، وعلق الجثمان في السوق (بوليه ١٦٣٢) .

ونفس هذا الباشا هو الذي غزاه الزعيم البربوشي في العام الذي سبق ذلك بالقرب من اتوات ، بينما كان متجها الى مكة قصد الحج . وقد لجأ الباشا المغدور ليلا ، الى خيمتي صالحين كانا برفقته . « وقد ترك له المهاجمون حياته احتراما الرجلين الصالحين ولكنهم قتلوا عددا من جنوده » .

واضطر الركب الحاج الى العودة الى تينبكتو ، ولم يتخلص الباشا من الحجز الا بدفع غرامة مالية كبرى .

ولم يتصرف الخليفة ولد سيدي محمد ولد امهد ، رئيس البرابيش الثائرين [على الفرنسيين] سنة ١٩١٦ ، بأفضل من سلفه .

أما الهجرة الثانية فهي أحدث من ذلك ، وقد جرت قبل سنة ١٦٥٠ بقليل ، وسنورد هنا كيف تمت حسب ما جاء في تاريخ البرابيش .

لقد قام رجل صالح من الرحامنة هو أبو مخلوف بالهجرة الى أزواد ، في أواخر حكم السلطان مولاي أحمد الذهبي (أذن حوالي ١٦٠٣) ، باحثا عن الوفرة في الرزق والحياة الأفضل . وكان ذلك بعد الهجرة الأولى بثلاثين أو خمسين سنة ، ونجاح المهاجرين الأوائل في تحقيق مآربهم .

وقد أقام الشيخ أبو مخلوف في أروان بالقرب من الشيخ سيدي محمد آغ آدّ ، جد أهل أروان الحاليين . واشتهر المهاجر الجديد بتمسكه بروح وأخلاق الاسلام ، ومعرفته الجيدة لفن التجارة . والتحق به عدد من أقاربه ، وشاركوه ممارسة التجارة . وفي يوم واحد قام أربعة أحياء من الرحامنة ، باسم أولاد اعمر بمغادرة المغرب ، والانتقال الى ابكيدي . « وهؤلاء هم : أولاد سليمان ، وأولاد احمد ، والدلوات ، (الذين هم بالتأكيد أولاد اعمر)، وأولاد إيعيش » . وليس مؤكدا تماما أن الأخيرين من أولاد اعمر ، اللهم إلا اذا كانوا من نسل حمّ بن حسان . وكان سليمان الكبير رئيس المهاجرين الجدد ، هو الابن البكر للشيخ ابي مخلوف . وهكذا اكتملت النواة العربية الصافية للقبيلة . وبدأت النواة تكبر وتتسع بفضل انضمام خيام ومهاجرين من جهات شتى .

وأقام المهاجرون الجدد حلقة تجارية هامة بين ابكيدي وأزواد، واستمر الحال على ما هو عليه فترة من الزمن ، وقام رئيس أحد المخيمات، وهو سليمان ، بالزواج من امرأة من أولاد سعيد، منتمية الى حي من المهاجرين الاوائل ، من أولاد عبد الرحمن ، وولدت له ابنا هو الحاج محمد .

وخلال تنقله بأرض أزواد ، وحيث تناثرت بعيدا عنه احياء ابناء عمومته الأقربين ، تعرض ايعيش ولد العطشان ، رئيس أحد الأحياء لحادث كان له أثره . فقد هاجمته مجموعة من أولاد عبد الرحمن ، وحلقت لحيته . وتعطينا الاسطورة الظروف التي وقع فيها ذلك : لقد كان أبناء عبد الرحمن يعتبرون كل الابل ذات اللون الأحمر ملكا لهم . وعندما كان ركب منهم يمر قريبا من ابل ايعيش ولد العطشان ، رأوا جملا أحمر فاستولوا عليه . وعندما جاء الراعي

مستغيثا ، قام اعيش بملاحقة الركب ، الذين سخروا منه معتبرينه قليل العقل فردوه بعد أن حلقوا لحيته .

ولم يرد الكهل صد قومه عن تجارتهم ومشاغلهم الحياتية ، فتستر على الحادث ، وغطى لحيته بلثامه . وعند عودة ذويه وابنائه من تجارتهم ، تلاسنت امرأة أحد أبنائه مع زوجها ، وعيرته بأن أباه تعرض لحادث الحلق المهين .

وخف الابن الى ابيه تتأجج فيه نار الغضب حتى أنه كان مستعدا للانتحار ، ولكن الأب أقنعه قائلا : « لن تتمكن وحدك من ايذاء أبناء عبد الرحمن ، ولكن انيس بن عيسى قادر على تدارك الموقف » .

وتوجه الابن الى انيس بن عيسى ، وحط بخيمته ممسكا بركيزتها الامامية . وكان أنيس شيخاً صالحاً يحظى باحترام أولاد عبد الرحمن ، الذين بقي بين ظهرانيهم بعد وفاة جده أبي مخلوف . ولكن جهوده لإحلال الوئام باءت بالفشل . وعندئذ أقسم الا يشرب أو يأكل حتى يعاد الى أعيش وذويه حقهم ، خاصة ان ابعيش كان رفيق سليمان عم انيس . وعادوا جميعا الى ايكيدي . وبدأوا شن الغارات على أولاد عبد الرحمن لكن هؤلاء صدوا هجماتهم ، وألحقوا بهم أضرارا أكبر . وقد اضطر أولاد اعمر بسبب هذه الحوادث الى مغادرة ايكيدي ، والعودة الى المغرب ، ولكن بعد أن ألحقوا هزيمة نكراء بأعدائهم في موقعة تينتاهونا . وعند عودتهم الى المغرب أعادوا علاقات الود مع السلطان ، وطلبوا منه المساعدة والعون .

وقام السلطان المعجب كثيرا بشخصية انيس بن عيسى ، بالسماح له باصطحاب اثني عشر ألف فارس من الرحامنة وعاد بهم

الى الصحراء . وتقول الروايات المحلية ان السلطان آنذاك ما يزال مولاي أحمد الذهبي .

وكانت الوقعة الأولى عند اطليعت رحال . بالقرب من غونيجفال . ودارت فيها الدائرة على أولاد عبد الرحمن الذين كانوا متوقفين لاعداد جمالهم ، بينما هاجمهم اعداؤهم على حين غفلة . وقد لحقت بهم هزائم متكررة بعد ذلك، ألجأتهم الى تشتت شملهم .

وتفرقت أفخاذهم، حيث سكن ايمراد أرض القصيبة، وانضم التيشبان الى الشيوخن ، ولجأت آدواباهم (١) الى كل تادمكت ـ تنجر يجف وعاد أولاد سعيد الى أولاد سليمان ، حيث ما نزال نجدهم حتى اليوم . ويعود الفضل في بقائهم الى الحاج محمد بن سليمان ، الذي كانت أمه سعيدية . وكما يحدث في العادة بين البدو ، أصبح في القبيلة رءوس وأتباع ، وتكونت مجموعة بينها أفراد ينتمون الى قبائل شتى .

وهكذا تشكل البرابيش بصورة نهائية في مناطقهم الحالية . وما أن انتهت الحزوب الخارجية حتى بدأت سلسلة الحروب الداخلية ، فقد ظل أولاد سليمان ، وأولاد أحمد في حرب دائمة . وتذكر في هذا الصدد حربا بينهما استمرت اثنتين وسبعين سنة ، دون أن يتصالحا مرة واحدة . وعند وصولنا [يعني الفرنسيين] كانت الحرب دائرة بين الطرفين ، فأولاد سليمان يعتمدون على الطوارق ، بينما اختار أولاد أحمد أولاد علوش كحلفاء . ومن الواضح أن هذه الحروب لم تمنعهم من التجارة وكسب الأموال ،

---

(١) عبارة من اصل بربري ، معناها الأحياء التي لا تنتقل كثيرا ، بسبب عدم وجود وسائل النقل . وتعني اليوم المزارعين الذين يقضون معظم وقتهم في مكان واحد طول السنة . (المعرب)

لأن مرمول يخص بالذكر تجارتهم في أسواق چني ، وهي بلا شك (چني الحالية) ، وذلك في القرن السادس عشر ، كما يذكر تجاربهم في أسواق سيغوص خلال القرن السابع عشر .

وهذا هو المكان المناسب لنضع شجرة نسب خيمة الامارة في البرابيش ، لنتمكن من المتابعة السهلة لبعض المعطيات المتوفرة لدينا عن تاريخهم .

الخيمة الموريتانية المستعملة في عرب أزواد

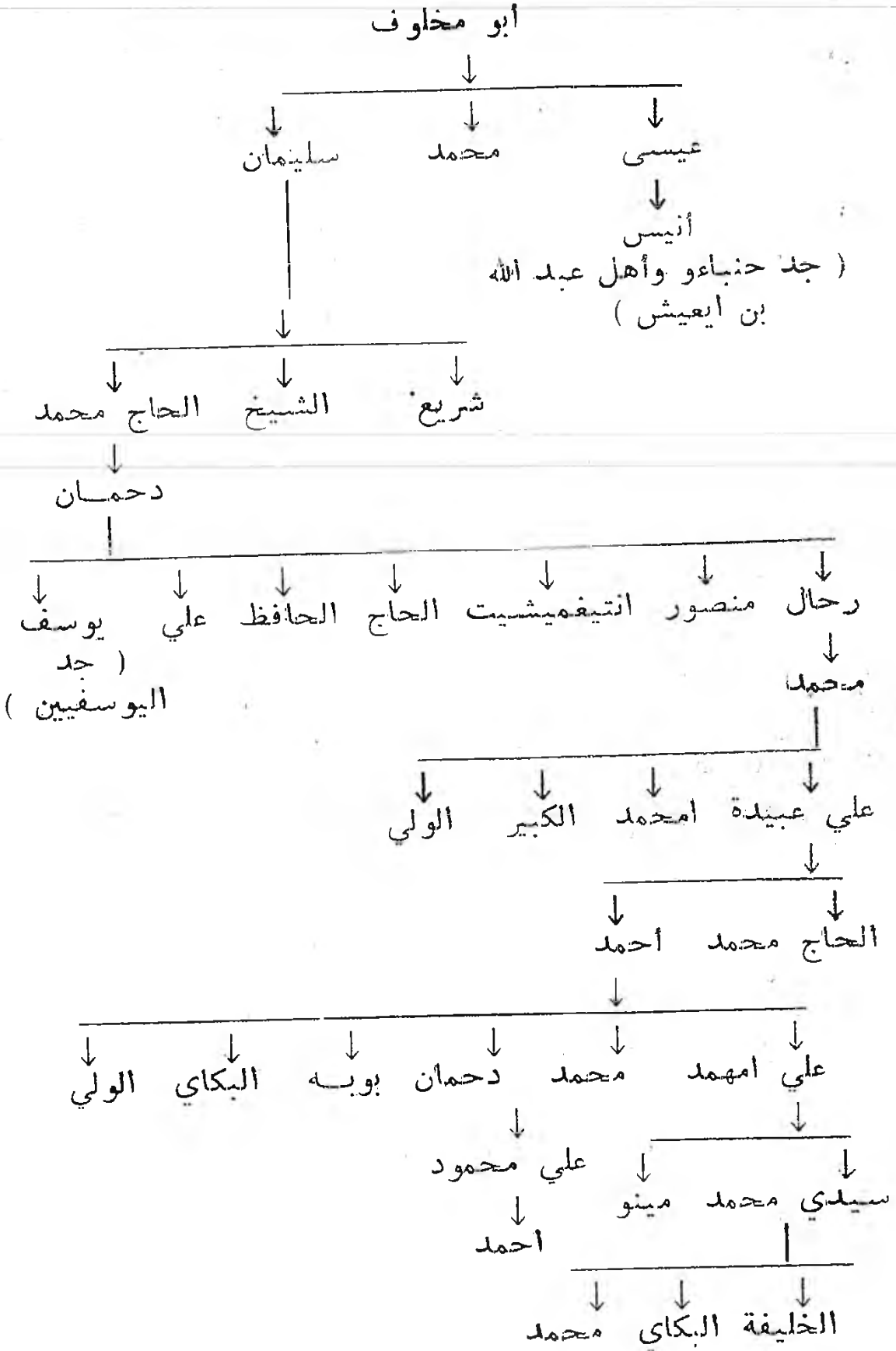
أبو مخاوف
عيسى
محمد
سليمان
أنيس
(جد حنباءو وأهل عبد الله
بن ايعيش)
شريع
الشيخ
الحاج محمد
دحمان
رحال
منصور
انتيفميشيت
الحاج
الحافظ
علي
يوسف
(جد
اليوسفيين)
محمد
علي
عبيدة
امحمد
الكبير
الولي
الحاج محمد
أحمد
علي
امهمد
محمد
دحمان
بوبه
البكاي
الولي
علي محمود
سيدي
محمد
مينو
احمد
الخليفة
البكاي
محمد

وتحثنا شجرة النسب هذه على الملاحظات الآتية :

ان البرابيش يعتبرون أنّ جدهم هو أبو مخلوف ، الرجل الصالح والتاجر الناجح ، وأنه هو الذي قاد الهجرة بهم الى موطنهم الحالي بأزواد . وقد دفن بالمعمورة الى جانب شيخه الشيخ سيدي محمد آغآدّ .

واصبح سليمان الابن الأكبر لاخوته الاثنين ، جد أولاد سليمان الفخذ الاميري للقبيلة . والاثنان الباقيان هما محمد ، وعيسى أبو أنيس ، جد أهل حنباءو ، وأهل عبد الله بن ايعيش .

وترك سليمان ثلاثة أبناء هم : الحاج محمد ، والشيخ والشريف (في أواسط القرن السابع عشر) .

والحاج محمد الذي أنقذ حياة أولاد سعيد (أولاد عبدالرحمن) عن طريق ضمهم لأولاد سليمان ، ليس له الا ابن واحد ، دحمان ، وهو الذي وقعت خلال قيادته تقريبا في بنبا ، الأحداث التي يسردها تاريخ السودان .

ففي سنة ١٦٥١ ، قام باشا تينبكتو يحيى بن محمد الغرناطيف باعداد غزو لبنبا حتى يطرد منها النهابة من البرابيش والطوارق الذين أعاثوا فيها فسادا . وكا ن سبب الثورة هو قيام الباشا بقتل أحد المشايخ الكبار المحليين هو ابراهيم بن عبد الرحمن الشبلي ، الذي كان البرابيش والطوارق يقدسونه . « وقد دفنه رافضا غسله أو الصلاة عليه » .

ودخلت قوات تينبكتو وكاءو مجتمعة ، المدينة في ٨ يونيه ١٦٥١ ، و عندها هرب البرابيش والطوارق الى جهات متفرقة .

وقد أرسل اليهم الرسل مرات عديدة عارضين الأمان، ولكنهم لاذوا بالصمت . وفي الأخير بعث اليهم الباشا حاكم المدينة حينئذ ، القاضي علال بن سعيد الحروسي ، ورفضوا أيضا محتجين برأي بعضهم الذي يعتبر أن الباشا خائن . وفي الحقيقة فان الألم الذي تركه في نفوسهم مقتل الشيخ ابراهيم الأرواني ، لم يفارقهم .

وهكذا نرى أن البرابيش كانوا يرفضون الانصياع لسلطة حاكم بنبا ، مثلما رفض اجدادهم قبل قرن من الزمن سلطة سلطان مراكش نفسه .

ولم يترك لنا التاريخ المحلي أية آثار عن الشيخ ابراهيم هذا ، الذي كان البرابيش والطوارق يحترمونه الى هذه الدرجة .

وقد ترك دحمان عددا من الأولاد ، كان كبيرهم رحال (بداية القرن الثامن عشر) الذي يقدمه التاريخ المعاصر ، كزعيم كبير للبرابيش . ومن ذرية الباقين ، تكونت الأفخاذ الفرعية الحالية أولاد يوسف الكبير ، وأولاد يوسف الصغير ، الى آخره . المنضوون تحت لواء أولاد سليمان ، أو في التفرعات الأخرى القبيلة .

ورحال ــ جد الفخذ الحالي : أهل رحال ، الذين هم الخيمة الكبرى من العائلة الأميرية ــ قد ترك أثره كزعيم عظيم . والمصادر المحلية لا تقدم لنا الكثير عن حياته . وحوليات ولاته ، تذكر أن البرابيش قد احتلوا هذه المدينة ، كما تقول التذكرة أن صراعاتهم الداخلية قد أدمت جميع منطقة تينبكتو .

« فقد جاء البرابيش ، كما تقول الحوليات ، الى ولاته ١٧٠٤ ــ ١٧٠٥ ، وغادروها ١٧١٠ ــ ١٧١١ » . وفي نفس الوقت تسرد تذكرة النسيان ، صراعات داخلية عنيفة من الممكن أن يكون

سببها الحاجة الى توازن بين السلطة المركزية للقبيلة ، وسلطات رؤساء الأفخاذ .

وابتداء من عام ١٧٠٣ ، قام البرابيش بالاقتتال فيما بينهم ، في نبكة اغومار . « وخلال عمليات المطاردة المتبادلة وصل بهم المطاف إلى دخول تينبكتو » .

وتجددت هذه الحوادث ابتداء من عام ١٧٣٦ ، وعلى مستويات أوسع . ففي ٢٥ من ميه ، قام عدد من أفخاذ أولاد اعمر البربوشي وأولاد رحمان ، وأولاد بو خصيب ، بالانتقال الى أغومار ، وذلك بعد معركة حامية الوطيس ، جرت بين أولاد اعمر والمحافيظ ، ومات فيها ثلاثة أخوة من الأخيرين . وخوفا من أن يلحق بهم أعداؤه ، واستئناف معركة جديدة ، طلب اليهم الباشا أحمد ولد القائد سنبير ، الرحيل والابتعاد عن المنطقة . ولكن العرب رفضوا الاستماع الى النصائح التي قدمت اليهم ، وبقوا في أماكنهم حتى بعد أن طلب اليهم الباشا تغيير اتجاههم ، واستمروا على موقفهم متجاهلين أوامره مثبتين غطرستهم وفظاظتهم وتمردهم .

وبعد أن بقوا في أماكنهم ، جاءتهم الفكرة بمغادرة المكان من تلقاء أنفسهم ، ودون الانصياع لرأي آخر . واتجهوا الى آبراز ونزلوا به . وعندئذ وصل وفد من أروان يضم مجموعتين من العرب ، معهم الكاهية ، وقاضي أروان ، العالم الوافي بن طالبنا ، محاولين اعادة الوئام بين الأفخاذ العربية عن طريق تداخل الباشا . ولكن الباشا حمادي منعهم من دخول المدينة ، ورفض بيع الحبوب لهم ، وذلك بعد وصولهم وبداية اتصالاتهم لتحقيق مهمتهم

التصالحية . « وقام مناد في المدينة ، بأنه من المحظور أن يبيع أي شخص الحبوب لهم » . ونتيجة لذلك انتشرت المجاعة في أروان وتاودني وقضي العديد من الناس لهذا السبب . واضطروا الى اكل الجلود اليابسة والعظام المرمية في النواحي .

وكان سكان تينبكتو حينئذ منشغلين في اعادة بناء جامع المدينة .

وفي الأخير قام عدد من البرابيش بالتدخل لدى جنود الباشا طالبين السلم ، ومقدمين مبلغا من المال . وقد قبل الباشا العرض مما سبب له الطرد من منصبه في اليوم التالي ، (٣٠ ميه ١٧٣٦) .

« وفي اليوم التالي غادر تينبكتو ، القاضي الوافي ، وسيدي عبد الوهاب ، بحثا عن أفخاذ أخرى من ايعيش والنهارات في آزواد من جانب آروان ، وكانت هذه الأحياء متواجدة في مكان معروف على طريق أروان يدعى سدرت الايدام . وبعد أن قضوا ليلتهم الأولى عندهم طلبوا منهم أن يصطحبوهم في اليوم التالي الى تينبكتو مع أبناء عمومتهم . واضافوا : « لقد جئناكم من بعيد احتراما لكم ، وأملنا أن يكون موقفكم مماثلا منا » . وقد قبل هؤلاء الثائرون العرض ، وتوجهوا معهم حتى نزلوا بالقرب من المدينة ، عند آبراز ، وهم يتمتعون بالامان وكل الحماية المطلوبة . وكانوا تحت قيادة اثنين من شيوخهم . ولكنهم بمجرد وصولهم انطلقوا من جديد في اتجاه الغرب ، الى أكمكام يارو ، وتلة ام عيش الدعاجي .

ومن الواضح أن نزولهم بهذه الاماكن كان بسبب وجود اعدائهم في آبراز ، قبالتهم تماما . وأرادوا البقاء في هذه المنازل حتى يحل السلام بينهم وأبناء عمومتهم . غير ان الامور سارت عكس ذلك

تماما . فما أن شاهدت أحياء آبراز اعداءهم يتبعون شيوخهم حتى نظروا اليهم كما يفعل العطشان بالماء وانقضوا عليهم في منـازلهم الجديدة ، كانقضاض الأسود الجائعة على قطيع البقر ، فاشتبك الفريقان في معركة حامية الوطيس ، مات خلالها ستة وعشرون رجلا من الطرفين ، كما قضى فيها أبو الخير بن أبو ، من خيرة رجالهم ، وأصيب عدد كبير من الناس بجروح .

« وقـد انهزم المحافيظ وأولاد عمران ، وفروا هاربين أمام أولاد اعمر واتجهوا غربا يطاردونهم حتى وصلوا الى قريةغندان(١)، ودخل الباقون في تينبكتو ، مع نسائهم وأطفالهم ، وتفرقوا في المدينة حيث التجأ البعض منهم الى الدور ، وسكن الباقي في خيام بنوها في الساحات العامـة وفي الطرقات . وكان العديد منهم مصابـا بجروح » .

وجذبت الخلافات الى تينبكتو ونواحيها ، العديد من النهابين حيث كانت مسرحاً لصراعاتهم الداميـة . فبالاضافة إلى العرب البرابيش ، تدخلت قبائل عربية أخرى ، منها محمد ولد الحسين ولد حديد ، كما تدخل طوارق ايلمدن (٢) مع زعيمهم اغمبوغ .

وقد قام الباشا الجديد ، سعيد بن القائد علي (٢ يوليـه ١٧٣٦) بالتدخل، وحاول اعادة السلام ـ وذلك حسب [مخطوط] تذكرة النسيان ، والنص غير الواضح الذي ورد فيها ـ وفرق الباشا الطرفين ، باعادة مجموعة من البرابيش الى أروان ، ورقابة مجموعة أخرى في نواحي تينبكتو .

---

(١) لعله غندام (المعرب)

(٢) اوليمندن وأم لمدن في بعض المخطوطات وأولمدن في اخرى (المعرب)

ولكن هذا لم يمنع من جولة جديدة من المعارك بعد ذلك بعدة أشهر (أكتوبر ١٧٣٦) .

فقد علم أولاد اعمر بأن اعداءهم يجوبون أزواد بحثا عن مواشيهم للاستيلاء عليها ، مما دفعهم الى التوجه اليهم لمجابهتهم . وشاركت في ذلك جميع الشخصيات المهمة في القبيلة ، ونشبت المعركة في مرتفعات الحما ، وكانت الدائرة فيها على أولاد اعمر . وفقدوا شيوخهم البارزين ، من أمثال: الحاج يوسف ولد أحمد ولد الحاج، والحاج احفيظ ، شقيق الشيخ رحال ، ومرزوق ولد الشيخ ، والحاج ولد مرزوق . وأصيب الشيخ علي بن دحمان بجروح قاتلة.

وأدت هذه الكارثة الى توقف الحروب الداخلية مدة طويلة من الزمن .

وقد تولى رئاسة البرابيش بعد رحال ، بن أخيه محمد بن يوسف ، جد اليوسفيين (أواسط القرن الثامن عشر) . وخلال هذه الفترة (يونيه ١٧٤٢) وصل ضابط بربوشي من الرماة في تينبكتو إلى منصب قائد كتيبة مراكش في حامية تينبكتو ، وهو الهادي ولد البربوشي الغربة . وكان ذلك بأمر من الباشا سعيد . ولكنه لم يبق في هذا المركز الا فترة قصيرة من الزمن .

ولهذا السبب أصبحت للبرابيش كلمتهم الى حد ما، في الحياة السياسية والعسكرية بتينبكتو ، حيث شاهدنا أحد أبنائهم يحتل أعلى المناصب في قوات الاحتلال المغربية ، بالرغم من أن الفوضى كانت سائدة في صفوفها . واذا ما صدقنا كتاب الطرائف [للشيخ سيدي محمد] ، فان الشيخ سيدي المختار هو الذي دعا على محمد ابن يوسف ، ففقد منصبه ثم حياته .

والقصة ، أن الشيخ في عودته الثانية من المغرب ، وعندمروره بأروان حوالي سنة ١٧٦٠ ، كان عرضة للاحتقار من قبل الشيخ البربوشي ، في مجلسه بحضور جمع غفير من الناس « فكان يقول ــ استهزاء ــ انني لم أر في حياتي شخصا أكثر قوة واعتزازا بنفسه من هذا الشاب الكنتي » . وكان عند تفوهه بعبارته جالسا الى الى جانب ابن عم محمد بن يوسف وغريمه محمد بن رئيس القبيلة السابق رحال .

ونقل محمد بن رحال هذه الحادثة الى الشيخ الذي رد عليه قائلا « سأجرده من رئاسته وأضعها بين يديك » . وبعد ذلك بوقت قصير اغتيل محمد بن يوسف في حيه ، على أيدي مجموعة تضم محمد الامين ولد بو راس ، ومحمد ولد اعمر ولد الامين ، وشخص آخر من أولاد ديدة .

وجرت بعد ذلك نزاعات على الرئاسة بين محمد ولد بو راس ومحمد بن رحال ، ولكن الأخير كسب المعركة ، فتحققت بذلك أقوال الشيخ . وعلينا أن نشير من جهة أخرى الى انه ابتداء من هذا التاريخ ، أصبح قبول طوارق ايلمدن شرطا أساسيا في تولي الرئاسة في البرابيش ، فلم يصبح محمد بن رحال رئيسا فعليا الا بعد أن نصبه أما آغ الشيخ زعيم ايلمدن .

ويذكر كتاب الطرائف أيضا عدة مشاكل حدثت بين محمد بن رحال ، وفخذ الرقاقدة الكنتي . وقد فكروا يوما في الهجرة الى اتوات ولكن تدخل الشيخ أثناهم عن عزمهم بحصولهم على مبتغاهم .

وقد انحلت مشكلة أخرى بالتفاهم أيضا بين الشيخ والشيخ البربوشي ، تمثلت في أن الشيخ أعفى الشريف مولاي علي ولد محمد العلوي ، من المكوسات التي كان البرابيش يفرضونها على التجار .

وبفضل مكانة الشيخ الكبرى لدى البرابيش ، تمكن من تعبئتهم لمواجهة أعدائه الخارجيين . ويخبرنا كتاب الطرائف والتلائد ، أنه بعد عدة غزوات ، ونهب قطعان الشيخ وحلفائه من قبل أولاد المولات من أولاد ادليم ، نجح الشيخ في ارسال غزوة كبرى من البرابيش ضد أولاد المولات . فكانت الدائرة عليهم حيث فقدوا خمسين رجلا ، ورئيسهم محمد المعلوم ولد محمد الأقرع ، واستعيدت كل المنهوبات (حوالي ١٧٨٠) .

وقد حل محل محمد بن رحال في نهاية القرن الثامن عشر ، ولمدة قصيرة ابنه الكبير علي ، الذي وقعت بينه مشاكل مع الشيخ سيدي المختار ، ثم انتقلت الرئاسة الى ابنه عبيدة .

لقد كان علي ولد محمد معروفا لدى الجميع بأنه رجل رعديد . ولم يكن له أصلا ، كبير حظ في تولي الزعامة كما يقال ، لولا تدخل الشيخ الكبير الكنتي الذي ضمن اختياره . وليوطد سلطته ، أوصى له بجباية رسوم على قوافل التبغ القادمة من اتوات والجنوب المغربي ، وبذلك ضمن له دخلا مرموقا . كما سمح له بأخذ اتاوات على الأفخاذ التي ترتاد نهر النيجر ، وبعبارة أخرى شرّع له إجراء كان البرابيش يقومون به منذ زمن . وكان الشيخ يرغب ــ عن طريق الاقرار بحق الجباية هذه لزعماء البرابيش على القبائل والقوافل من المستضعفين ــ في أن يصرف أنظارهم عن قبائل كنتة . ولكن هذا لم يتحقق ، اذ بمجرد امساك علي بزمام السلطة ، هاجم في أحد الأيام « أزلاى » الملح (١) التابع لكنتة ، كما نهب في اليوم نفسه

---

(١) كلمة أزلاي بتفخيم حرف الزاي، تعني قافلة الملح بالبربرية وهي مستعملة في الحسانية لهجة عرب جنوب الصحراء . (المعرب)

مخيمات ترمز الذين كانوا ملتحقين بكنتة . وعلى أثر نوبيخ وراء نوبيخ ، تطور الأمر الى نزاع مكشوف ، غير أن عليا الذي كان يفتقر الى الشجاعة ، كان دبلوماسيا . فبذل كل جهوده في ايقاع الفتنة بين الفريقين الدينيين المتخاصمين ، أي بين زعيم كنتة الديني ، وبين حمادة آغايميلين ، وهو الزعيم الدنبي لقبيلة كلنصر الذي حل محله ولداه دوادو ، وهوالن .

وعندما أدرك الموت عليا بعد ذلك بقليل ، كان يرفض التصالح مع الشيخ .

وقد حل عبيدة محل أخيه علي ، في نهاية القرن الثامن عشر . ويذكر لنا هنا كتاب «مغترب العباد» ، الذي خصص للموضوع فقرة قصيرة ما يلي : « ان عددا من مشائخ البرابيش الدينيين أصبحوا يتمتعون بالحظوة لدى طوارق ايلمدن ، وساهموا في حل مشاكلهم مقابل تعويض من قبلهم » .

ويشير كتاب الطرائف ايضا الى أن عددا من البرابيش قد اختلطوا بكلنصر ، وأخذوا عنهم عددا من العادات والسلوك غير المحمود ، وهذا يعني أن المؤلف كان ينتقدهذا التقارب بين البرابيش وكلنصر الذين كانت علاقاتهم غير ودية مع كنتة . ويدعي الكتاب ، أن الشيخ عرف كيف يؤذي هذا التقارب .

وبعد وفاة عبيدة سنة ١٨٢٠ ، تولى السلطة بعده ابنه أحمد . وأحمد هذا هو الذي يخلده التاريخ ، بخسيسة [!] اغتيال الرحالة الانجليزي المأجور غوردن لينغ . وكان رني كيبي ، وبارث ، من الذين نقلوا الينا شهادتهم على ذلك ، وقد سماه رني كيي ، حمد ، (أو أحمدا) ولد حبيب . ولا شك أن حبيب هو تحريف منه لعبيد أو عبيدة .

وقبل ذلك كان سكان تينبكتو قد خصصوا أسوأ استقبال للرحالة مما اضطره الى مواصلة الرحلة الى الشمال . وكان ذلك بضغط من الفلان (١) القادريين المتعصبين ، الذين كانت المنطقة خاضعة لهم في عهد شيخ أحمدو ، وكانت مغادرته لتينبكتو الى أروان في ٢٢ شتنمبر ١٨٢٦ ، ومعه دليل بربوشي قدمه له رئيس القبيلة أحمد ولد عبيدة ، بطلب من عثمان الكاهية رئيس تينبكتو .

وفي الليلة التالية التحق به الرئيس البربوشي نفسه في مكان يدعى سحاب ، على بعد خمسين كيلو مترا ، شمال تينبكتو ، يرافقه محمد فرجي ولد أعلي ولد عبد الله ، وعدد من الأتباع . وعرض أحمد في الحال على الرحالة الدخول في الاسلام . وبما أنه رفض ، أمر أتباعه بامساكه فضربه برمحه في صدره . وأتم محمد فرجي العملية بقطع رأس الانجليزي البائس . وفي هذه الأثناء قام أتباع الزعيم البربوشي بقتل رفاق لينغ ، وحرق أمتعته وسجلاته .

ودفن لينغ وأتباعه بعد ذلك بعدة أيام ، من قبل بربوشي عابر سبيل ، هو ابراهيم ولد عمر ولد صالح ، من أولاد سليمان ، وكان ذلك رأفة منه يمليها الاسلام ، بالنسبة لهؤلاء الناس ، الذين تركوا

---

(١) الفلان : هو الاسم الذي يطلقه العرب في افريقيا الغربية على شعب يطلق على نفسه فولبي . كما يسميهم العرب ايضا ايفلان . ويسميهم الطوارق فولاني وفولاوا . والهوصا : فالاتا ، وفيلاتا ، والماندي : فولا . والولف : بتّل ولهم لغة مشتركة مع التكارير وهي البولارية . والشعب الفلاني اكثريته مسلمة بالرغم من اتساع الارض التي سكنها والتي تغطي كل افريقيا الغربية وجزءا من الوسطى . ومعظم المؤرخين يعتبرونه ساميا ، ومن الهجرات التي اتت من المشرق . كما أن معظم العائلات الفلانية تدعى الانتساب الى الشام واليمن . (المعرب)

في العراء مجردين من ملابسهم وغير مدفونين ، ولكنه ندم على ذلك بعد قليل ، عندما علم ان الميت كان مسيحيا .

وقد كشف التنقيب الذي قام به في نهاية ١٩١٠ ، بونل دمزيير ، عن عظام وبقايا ملابس في المكان الذي دفن فيه الرحالة ، تجعل من الممكن اثبات انها كانت للمأجور غوردن لينغ .

ونلاحظ أن رني كيي ، الذي مر بالمكان سنتين بعد الحادثة ، يحدد موقع الوفاة في مكان يقع أكثر شمالا على بعد عدة ساعات جنوب أروان .

وكان أحمد ما يزال يعيش ، عند وصول الرحالة (الانجليزي الثاني) [بارث] الى تينبكتو (شتنمبر ١٨٥٣) ، ولكنه كان طاعنا في السن ، وينوب عنه ابنه البكر ، علي . وكان هذا طموحا لتكرار فعلة أبيه ، مصمما بدوره على اغتيال المسيحي الجديد . وكان قد وصل الى المدينة مع أزلاي شتاء ١٨٥٣ (بداية دجنمبر) ، وأقسم هو ورفاقه على قتل بارث . « ويقول الرحالة » أن عليا اعطى تأكيدات لا يعتريها الشك على كرهه اياه . وقد أهمل زيارة الشيخ (البكاي) بسبب ترحيبه بي .

غير أن عليا هذا ، ولحسن حظ بارث الكبير ، قد فاجأه الموت بتينبكتو نفسها في التاسع عشر من دجنمبر ١٨٥٣ . وكان لذلك وقعه الكبير . اذ يعرف الناس أن عليا هو ابن قاتل الماجور لينغ . وكانوا يظنون أن بارث ، هو ايضا ابن لينغ ، وفي هذه المعركة بين الابنين ، كانت العناية الى جانب عبد الكريم (بارث) وضد علي .

وقد قام أولاد سليمان الذين اقسموا على قتل الرحالة ، والذين أصابهم فزع شديد ، بتشكيل وفد رسمي ذهب لزيارة « البكاي ، وطلبوا منه المعذرة لاهمالهم له ورجوا منه أن يدعو لهم بالخير » . وقد أرسل الشيخ المسن أحمدا ولد عبيدة رسولا الى الرحالة بارث يؤكد له بأنه لن يتعرض له بأي أذى ولن يعطل سفره. ومن ذلك اليوم اظهرت مدينة تينبكتو كثيرا من الود تجاه الرحالة .

ومع ذلك فان بارث الذي كان مغتبطا بموت غريمه الفجائي وبالتفسيرات التي أعطتها العامة لها ، لم يكن مطمئنا كثيرا ، فقد أصيب بفزع شديد عدة أيام بعد ذلك عندما شرب لبنا في حضرة البكاي ، قدمه له أحد أتباعه البربوشيين ، حيث تصور لأول وهلة أن الألم الذي شعر به كان ناتجا عن سم دسه البربوشي في الحليب. فقد أصبحوا في نظره مصدر الأذى له .

وعن طريق معلومات بارث ، نرى أنه في ذلك التاريخ (بداية ١٨٥٤) كان التأثير الديني لكنتة ما يزال قائما بين البرابيش . والبكاي الذي كان عليه أن يتحصن ضد عدوان محتمل عليه من قبل ابفلان ماسينا الحماة السياسيين لتينبكتو ، استنجد بحلفائه الطوارق من ايلمدن . وأرسل له هؤلاء قوات ، لكنها تأخرت عن موعدها ، وعندما اقتربت أصاب أفخاذ البرابيش الفزع ، فالتجأوا الى حلة البكاي لحمايته ، وبوصول (طابور) ايلمدن ، تفرق الجميع باستثناء « القوانين الكحل الذين كانوا يخشون كل حكيكان » .

والعجيب أن الطوارق الذين يسببون هذا الفزع لم يكونوا مسلحين الا بالرماح ، بينما كان البرابيش « مسلحين جميعا تقريبا ببنادق ذات طلقتين من الصناعة الفرنسية» استوردوها من سنغال.

وبعد وفاة علي الابن الأكبر لأحمد في الظروف التي مرت بنا ، فتح باب الصراع على خلافة أحمد في قيادة البرابيش ، وكانت من نصيب ابنه الأصغر امهمد . وهو والد الشيخ الثائر حاليا ، سيدي محمد ، ولهذا يعرف لدى العامة بولد امهمد .

وكان لأحمد عدة أبناء آخرين هم : محمد ودحمان الذي هو والد محمد الرئيس الحالي للبرابيش ، ثم بوبه ، والبكاي، والولي.

ولم تتميز قيادة امهمد التي انتهت بموته سنة ١٨٨٠ ، بأي حدث سياسي يستحق الذكر .

أما في المجال الاقتصادي ، فقد تحققت للبرابيش السيطرة على نقل الملح . وكان نقل الملح الدائم بين تاودني وتيمبكتو ، يعرض القوافل سواء كانت للبرابيش أو لكنتة أو لإيفوقاس إلى أعمال النهب التي يقوم بها غزاة الصحراء . وكان أكثرهم خطرا ، الهوكار (١) القريبين منهم ، والقادرين على مفاجأتهم . لهذا كان هؤلاء وأولئك، يعقدون سلسلة من الاتفاقيات مع هذه القبيلة الطارقية المسلحة القوية ، ويدفعون لها سنويا أتاوة من الابل لضمان سلامة الطريق ، وقد ذكر بارث في أيامه هذه الاتاوة . وكانت تقدر بأربعين مثقالا من الذهب ، وعند وصولنا [يعني الفرنسيين] الى المنطقة ، كان البرابيش لا يزالون يدفعون هذه الغرامة في شكل جمال ، وملابس

---

(١) الهوكار : عشيرة طارقية (المعرب)

من النيلة (١) الى امينوكال (٢) الهوكار . ومع احتلالنا للبلاد ألغيت هذه الاتاوة . وكان ذلك بسبب غزو قام به الهوكار في بداية ١٨٩٦ ، ضد البرابيش الخاضعين لسيطرتنا .

وكان البرابيش على علاقات طيبة دائمة مع ترمز الذين انفصلوا عنهم حوالي ١٨٥٠ ، وشكلوا قبيلة مستقلة تعيش على ضفاف فاكيبين ، وفي المنطقة الصحراوية التابعة لها . وحتى اليوم يقر حم رئيس ترمز بصداقته لسيدي محمد ولد امهمد وابنه الخليفة ، مبديا أسفه على تمردهم [هجرتهم] ، راجيا أن يطلبوا الأمان ويعودوا الى أرضهم .

وفي سنة ١٨٨٠ ، حل ابن محمد البكر وهو سيدي محمد محله ، وكان هو الرئيس عند وصولنا الى عاصمة العقفة (دجنمبر ١٨٩٣) ، وسنرى فيما بعد فقرة عن ذلك .

وتقول الأخبار الشفهية أنه بطلب من الطوارق ، أرسل البرابيش مجموعة مقاتلة من الفرسان ، للانضمام الى القوات التي كان عليها أن تهاجم [الضابط] كارون عندما ينزل الى البر من النهر (١٨٨٨) . ولكن الضابط عاد أدراجه ، قبل أن يصل الى تينبكتو ، وفعل البرابيش مثله ، واتجهوا الى أزواد بارتخاء ، ولكنهم نهبوا

---

(١) هو قماش أسود يصبغ جلد لابسه بلونه ، وتلبسه النساء كلحاف لهن ، كما يستعمله الرجال كعمائم . واسمه مشتق من الشجر الذي يصبغ من ورقه ، واسمه النيل . وشكل قديما بضاعة التبادل الاساسية بين الاوروبيين ، وسكان المنطقة قبل الاستعمار . وما يزال يستعمل الى اليوم حيث أقيمت له مصانع في البلاد المجاورة . (المعرب)

(٢) الرئيس بالطارقية (المعرب)

بعض الشيء تجار المدينة . وقد شكا المتضررون الى حماتهم من مسلحي طوارق تنجريجف ، وجرت مواجهة بينهم وبين البرابيش قريبا من شمال تينبكتو . وقد تمت اعادة السلام بينهما بفضل جهود السلسبيل امينوكال تنجريجف ، وسيدي محمد رئيس البرابيش. وقد استقبل البرابيش احتلالنا لتينبكتو باللامبالاة ، ولم نسجل أي رد فعل لديهم .

ومن الحق أن نقول إن هذا الاحتلال ، كان مفاجأة لهم فلم تبلغهم الأخبار الا متأخرة ، بسبب تشتتهم في الأراضي الواسعة . وقد احتلت المدينة بقوة ، وتحطمت المقاومة الأولى دون أن يسنح الوقت لأي تدخل . واذا ما نظرنا الى الوضع الجديد وآثاره عليهم، نرى أنه في مجمله يصب في صالحهم : فلم نطلب منهم أي شيء ، وشجعنا قوافلهم التجارية ، ولم نأخذ جبايات لا على الايراد ولا على التصدير . وقام رؤساء المدينة من الرماة ، وهم يحيى الكاهية، وحميديا ، واخوتهم، باللجوء الى أروان ونواحيه ، طالبين استضافة البرابيش بموجب العلاقات التقليدية ، ولم يكن باستطاعة تلك الأحياء رفض ذلك . وخلال أسابيع بدأ هؤلاء وأولئك يتقربون من الفرنسيين . فالرماة طلبوا الأمان وعادوا الى تينبكتو . وأعلن سيدي محمد رئيس القبيلة أن يريد ان يسمع أنه يريد العيش هو وذووه مع الفرنسيين في جو من الاحترام . وهذا كل ما كان باستطاعتنا أن نطمح اليه في ذلك الوقت . وأبرم اتفاق السلام على هذه الأسس في ١٨ فبراير ١٨٩٤ . ولم يكن يحتوي على دفع ضريبة سنوية ، ولكنه كان مفهوما ضمنيا ومقبولا أن يدفع التجار ضريبة ــ حسب عادة البلاد ــ على البضائع التي ينقلونها الى تينبكتو ، وهي عبارة

عن رسم جمركي معروف باسم العشر . ورفض سيدي محمد الحضور الى تينبكتو في هذه الظروف .

ولم تدم هذه الحالة ، فقد كشف النقاب سنة ١٨٩٥ ، عن ضرورة دفع العشر بل وزيادته ، وشدد من وطأة هذا الاجراء رفع الضريبة على الحبوب المصدرة . وأخيرا وفي سنة ١٨٩٦ ، فرضت ضريبة جديدة ، وهي خمس فرنكات على كل قطعة من القماش الوارد من الشمال . والضريبتان الاخيرتان أصابت البرابيش في المقتل ، فالأولى هددت وجودهم عندما جعلت الحصول على الزرع أمرا صعبا ، والثانية أضرت بتجارتهم التي هي المصدر الاساسي لرزقهم . وقد اشتكوا من ذلك بمرارة ، وجاء رسلهم يسألون في تينبكتو لماذا يراد لهم أن « يأكلوا الأعشاب » ؟ . ومن ذلك الوقت أصبحت آذانهم صاغية للآراء غير السديدة . وكانت زيارة رئيسي ايلمدن : جمرة وفتشو مضرة من وجهة النظر هذه .

ومن جهة أخرى كان للمتمردين [المجاهدين] التابعين لكلنصر وكنتة، أثر سلبي ضدنا لدى عدد من مخيمات الكوانين ــ الذين اظهروا كثيرا من سوء النية تجاهنا منذ البدء ــ بالتحالف مع انغونا . وأبلغ أحد رؤساءهم ، وهو المختار ولد الخليفة في أغشت ١٨٩٥ هذا الأخير بمغادرة كتيبة اينبرت التي كانت تريد مهاجمته على حين غرة في تاتاكينت . ورغم أن المفاجأة لم تحصل ، فان حي انغونا قد نهب بقضه وقضيضه .

وقد فشلت جزئيا عملية أخرى قمنا بها ضد المختار ولد الخليفة نفسه ، وذلك ايضا بسبب سوء طوية الأدلاء . وتمكنا فقط من الاستيلاء على قطعان الابل .

وبعدئذ أعلن الكوانين خضوعهم ، مما عرضهم الى غزوة من كنتة والهوكار المتمردين ، بينما كانت أحياؤهم قريبة من تينبكتو . وقد ساهم الكوانين بقيادة رئيسهم محمدا ولد هيمة ، في عملية اكنكان الجيدة (١٦ من مارس ١٨٩٦) .

وفي يونيه ١٨٩٧ ، قام طابور من كل تامولييت بالإغارة على البرابيش الخاضعين ، على بعد عدة كيلو مترات شمال شرق كبرا ، وقتلوا منهم عشرة رجال واستولوا على مواشيهم . وقام النقيب بيبيرو ، ومعه مجموعة من البرابيش بملاحقتهم ، فقطعوا النهر وكبدوهم هزيمة نكراء باغلل في ٣٠ يونيه ١٨٩٧ ، اذ بقي في المعركة ستة عشر رجلا موتى ، وأسر مائة آخرون . واختتم هذا النصر بسلسلة من العمليات الناجحة ضد طوارق العقفة ، مما حملهم على الخضوع .

وتعرض البرابيش بعد ذلك بقليل ، إلى حملة من الهوكار ، سلبتهم الفا من الابل ، لم يعد اليهم منها الا النزر القليل .

وانتهى الأمر بسيدي محمد إلى اعلان التمرد علينا ، رغم أنه كان دائما ينصح انفونا بطلب الأمان ، وكان من المفروض أن تعززه في هذا الموقف ، النهاية المفجعة للزعيم الطارقي (١٨٩٨) .

وكانت نتيجة الغزوة التي شنتها عليه كتيبتنا في دجنبر ١٨٩٩ ، سببا في هربه من المنطقة مع اتباعه ، وخضوع القبيلة جميعها ، وتوحيدها برئاسة محمود ولد دحمان بن عم سيدي محمد (٢٠ ميه ١٩٠٠) .

وأصبح برابيش الشمال خاضعين من يومها الى عشر سنوي، يتمثل في دفع جملين مبرزين ، ثم أصبحوا ثمانية جمال في عام

١٩٠١ . أما برابيش الجنوب (غورمة) فبدأوا بدفع ثلاثمائة رأس من الضأن ، ارتفعت بعد قليل الى خمسمائة . وهم مجتمعون كانوا يدفعون زيادة على ذلك ، اربعين من الابل كمساهمة في مجهود الحرب .

ومن هذه الفترة أصبح كسب ثقة البرابيش أمرا يحتاج الى نفس طويل ، كما أن سلطة الرئيس الجديد محمود ولد دحمان ، كانت بطيئة السيطرة .

وفي اكتوبر ١٩٠٠ ، إبان عملية استطلاعية قام بها الملازم بيشون ، انفض جمع القبيلة أمامه في نواحي أروان ، وكان من أصعب الأشياء اللحاق بهم والحصول على عدة جمال منهم .

وفي سنة ١٩٠٦ ، استقبلوا بآذان صاغية وغبطة أحداث شمال موريتانيا المشيرة الى ثورة شاملة [ضد الفرنسيين] . ولكنهم لم يذهبوا الى اكثر من ذلك ، لأن تجارتهم كانت ستتضرر خاصة أنهم يضعون مصالحهم فوق اندفاعهم الديني . وفي المقابل ابتعدوا عن تينبكتو التي قضت عدة اشهر دون أن تطأها قدم بربوشي . وكانوا بذلك يقدمون ما يستطيعون من الضمانات للجهاد .

وهذا المسلك لم يحصنهم من أن يكونوا عرضة لغزوات من أهل الشمال ، ففي أول نونمبر ١٩٠٦ قام غزو من الركيبات بالاختباء عند بئر عثمان منهل البرابيش ، وعند وصولهم هاجمهم ، فقتل سبعة رجال وجرح أربعة ، واستولى على ٤٠٠ من الابل ساقها الى الشمال الغربي .

وفي هذه الأثناء ، عاد سيدي محمد من تمرده نهائيا صحبة الأفخاذ التي رافقته ، وبذلك عادت القبيلة الى وضعها الأول ، والتأم

شملهـا . وتوج الصلح بزواج محمود ولد دحمان باحـدى بنات سيدي محمد .

غير أن الوئام لم يطل كثيرا ، فقد اضطرت أحوال قافلة الشتاء لنقل الملح بسبب الخلاف بين الرئيسين البربوشيين . وقد دعيا الى تينبكتو ، لكن جهود السلطات العسكرية لاصلاح ذات البين بينهما لم تكلل بالنجاح .

وكان من الملّح اعادة النظر في الاسس التي ينبغي أن تتركز عليها القيادة الجديدة ، خاصة أن الفوضى بدأت تدب في القبيلة .

وخلال اجتماع الجماعة في نهاية ١٩٠٧ ، أكدت رئاسة محمود لفخذه ، وأعطت القيادة العامة لسيدي محمد .

ولم تسوّى الأمور كلية بهذا الاجراء ، مما أدى الى اجتماع جديد للجماعة في فبراير ١٩٠٩ .

وقـد اختار جزء من أولاد سليمان هم : ركان والسكاكنة ، وأولاد ابعيش ، وأولاد عمران ، والكوانين ، وترمز ، ولد امهمد (سيدي محمد) رئيسا لهم .

واختارت بقية أولاد سليمان ، وأولاد غيلان ، وأولاد غنـام وأولاد ادريس ، وأولاد ابعيش ، محمود لرئاستهم .

وفي سنة ١٩١٠ ، هاجر سيدي محمد متمردا مع عدد من أفخاذ البرابيش ، واتجه الى أقصى جنوب المغرب .

وقد عاد بعد ذلك العديد منهم للخضوع ، نتيجة البؤس الذي حل بهم في غربتهم ، ثم الصراع المسلح الذي جرى بين افراد غزو مسلح يضم كنتة والبرابيش المتمردين سنة ١٩١٠ ، وأخيرا الصراع

العنيف مع برابير جنوب المغرب (١) . وطلبوا الأمن الى مركز تبلبالت التابع للادارة الجزائرية في بداية ١٩١١ ، ثم وجههم الى الجنوب فوصلوا الى تينبكتو ، وبنبا وبوريم ، وكانوا في وضع يرثى له من جراء هذه المغامرة القاسية التي عانوا منها (ميه ١٩١١) . وكان من اللازم اعفاؤهم من غرامات مالية لفقرهم وتم توزيعهم بين مخيمات محمود ومسعود . ومن ذلك الوقت اقتصر تاريخ البرابيش على عمليات النهب التي يقوم بها أبناء عمومتهم المتمردون [المجاهدون]، بقيادة الخليفة، الابن البكر لسيدي محمد، الذي أصبح طاعنا في السن، وعاجزا عن قيادة الغزو . وكان قطاع الطرق من وادي درعه ، والساقية [الحمراء] ، والمبدر ، وتافلالت ينضمون اليهم . وكان البرابيش الخاضعون لا يقاومون الغزاة . كما أن قواتنا العسكرية التي كانت في طور تكوين فرق هجانتها المطاردة ، لم تقدم لهم الحماية الكافية ، لهذا فقدوا الكثير من الابل . وكان يقود هذه الغزوات ، الخليفة ولد سيدي محمد .

ولا يعني ذلك أن البرابيش كانوا لا يقومون أحيانا بمقاومة غزو أعدائهم . ففي ربيع ١٩١٢ ، وصلت الى نواحي تينبكتو ، حركة كبيرة من أولاد جرير والركيبات ، واشتبكت كتيبة منها مع الملازم الورين ، مما أدى الى هزيمة الكطارة المؤلمة (٢٤ ميه) . وهاجمت كتيبة أخرى ايدنان ، وقتلت رئيسهم الأخضر الموالي لنا ،

---

(١) كان الفرنسيون في بداية هذا القرن ، يطلقون على قبائل الجنوب المغربي، وجزء من القبائل العربية في الغرب الجزائري ، هذا التعبير العام . والحقيقة ان تلك القبائل عربية . (المعرب)

واستولت على أعداد من قطعان الماشية (١٨ ميه) . وقام القسم الثالث بمهاجمة المناطق الجنوبية الغربية ، مما عرضه الى الصدام مع مسلحي البرابيش الذين نظموا الدفاع . واحتدمت معركة شديدة ، كانت خسائر الطرفين فيها مرتفعة ، حيث فقد البرابيش وحدهم ٣٥ قتيلا .

وبعد ذلك بعدة أسابيع ، نجح البرابيش ــ بمساعدة قوات المهارى الفرنسية بأروان ــ في طرد غزو من أولاد جرير الى اوذيكة بعد معركة جرت في عين الركزة .

وفي اكتوبر ١٩١٢ ، كان غزوان كبيران يجوبان أزواد وآدرار ايفوقاس ، وتيمترين ، دون أن ينغص عيشهما أحد ، وذلك بسبب القضاء على كتيبة تينبكتو ، وقوم كنتة [من قبل الثوار] ، بينما ما تزال كتيبة كيدال المحمولة في طور التكوين . وقامت أولى هذه العصائب وهي برئاسة الشعانبي(١) المتمرد [المجاهد] ، علي بن قدور ، ومكونة من أغلبية من أولاد عبدا الواحد، بسلب سكان منطقة بنبا من كنتة ، وايدنان ، واتجهت الى الشمال ، سالبة أموال البرابيش . وعن طريق أشورط اتجه علي ولد قدور الى تكابرت ، ووادي تجنوت ، حيث تجد مواشيه المساوبة المراعي والمياه الأمن من الخطر وانضمت مجموعة الغزو الثانية التي كانت تعمل في آدرار ايفوقاس، بقيادة حم ولد [الشيخ] عابدين ، بالانضمام الى غزو علي ولد قدور في عرق تجنوت ، وقاد ضابط الصف غوتيي من كتيبة

---

(١) نسبة الى قبيلة الشعانبة العربية المتواجدة في الجزائر وجنوب المغرب . (المعرب)

المهارى التابعة لتيدكلت ، بمباغتة الغزو في ١٤ نونمبر . وخلال المعركة مات علي وعشرة من اصحابه ، وهزم الغزو تاركا عددا من منهوباته .

وكان من سوء طالع بقية الغزو أن اصطدمت بالنقيب شارل عند بير الزميلة في ٢٩ من نونمبر ، حيث قضى عليهم جميعا . وكان من جملة القتلى رئيس أولاد عبد الواحد اسويلم ولد القويني ، والشيخ ولد باشا ، قاتل ساليكون أمينوكال ايفوقاس .

وكان لهذه الانتصارات وقعها المدوي في منطقة تينبكتو ، غير أن الركيبات الذين ساهموا في عملية الكطارة لم يكتفوا بالنصر العسكري . ففي بداية ١٩١٣ دخلوا أزواد عن طريق الكصيب وأونن واستولوا على ٤٠٠ من ابل البرابيش في بلدة غير . وبعد مطاردتهم من قبل مهارى أروان ، التحقوا بسرعة بجنوب المغرب عن طريق الكصيب . وقد أصيبت القبيلة بالحيرة والقلق من جراء هذه الغزوات المتكررة، وكذلك بسبب خسائر الابل التي من اسبابها أيضا فقدان بعض القوافل ، واستخدمنا جمال القبيلة لغرض تموين مراكزنا العسكرية في الشمال . أضف الى ذلك ان القيادة الأهلية كانت بلا قاعدة ، وينقصها الحزم . فبعد أن هاجر سيدي محمد ولد امهمد ، وعائلته والوجهاء اختل توازن القبيلة، وأصبحت في حاجة الى قيادة . وجمعت الافخاذ عندئذ لتكون تحت قيادتين مستقلتين : قيادة محمود ولد دحمان ، ومحمد محمود ولد محمد، الذي لا يوثق بسلطته .

وقد جاء حادث سلّط الضوء على حالة الفوضى هذه ، ففي شهر أغشت ١٩١٣ ، وبتحريض من أربعة رجال ، قام عشرون من

الشباب ، مسلحين ببنادق من صنع ١٨٧٤ بنهب أموال أحياء على بعد مسيرة يوم من تينبكتو ، وبعد مطاردتهم ، اتجهوا الى الشمال حيث اشتبكت معهم وحدة المهارى في ٢٩ أغشت عند بلدة غير ، وأطلقوا النار عليها ، ثم فروا تاركين خلفهم ١٠ قتلى. وهذا الحادث بالرغم من طابعه المحلي ، احدث اضطرابا عميقا في القبيلة .

وهكذا تتأكد اليوم صحة الوصف القاسي الصادر عن الشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي في نهاية القرن الثامن عشر ، والذي ينقله كتاب الطرائف كما يلي :

« ان البرابيش ليس لهم حس سياسي ، وهم عاجزون عن التفاهم على رئيس وتأييده . وهذا الوضع زاد خطورة عندما أصبحوا تحت سيطرة الطوارق » .

واذا ما أحللنا الفرنسيين اليوم محل الطوارق ، يكون الوصف منطبقا تماما .

وابتداء من شهر شتنمبر من هذه السنة (١٩١٣) ، انتقل البرابيش وكل أروان ، الى مناجع جنوب أزواد ، بالقرب من تنغ الحي للابتعاد عن الغزاة المتركزين في الكصيب ، والذين يهددون مناطق الحوض وفاكبين ، دافعين بطلائعهم الى تينبكتو بحثا عن أكبر عدد من ابل البرابيش .

وفي ليلة ١٤ و ١٥ من نونمبر ، انقض قوم ترمز على غزو يضم ما بين ١٥٠ رجلا و ٢٠٠ ، حيث كانوا في غفلة من امرهم جعلهم يفرون بسرعة باتجاه الكصيب ، تاركين خلفهم جزءاً من الابل المنهوبة .

وفي ٢٢ منه ، نجح محمود ولد دحمان على رأس ثلاثين من أنصاره ، في إعادة ٢٠٠ من الابل كانت قد نهبت من اهلها شرق

تينبكتو ، لكن غزوا بأمرة الخليفة نجح في الاستيلاء من جديد على هذه القطعان غير أنه بعد ذلك فقد خمسين من اصحابه في معركة المغيطي . وكان لاخبار هذه المعركة أثرها الطيب في البلاد : اذ أنها أول مرة تتمكن قواتنا من اللحاق بالخليفة ، الذي نجح لعدة سنوات في غزو سكان أزواد وسلبهم دون عقاب .

وكانت الحالة اكثر طمأنينة سنة ١٩١٤ . اذ أن الحادث الوحيد الذي سجل فيها ، هو استيلاء غزو من ٥٠ رجلا على ١٨٠ جملا للبرابيش في أنشاى ، كانت مخصصة لنقل قواتنا من مركز الكطارة . وهذا الحادث المنفرد لم تكن له تبعات .

وفي سنة ١٩١٦ ، قامت ثورة طوارق كل أولى ، وهاجموا عدة مرات قوارب نهر النيجر ، مما اضطر سلطات تينبكتو الى ارسال طلائع مسلحة اليهم ، برئاسة النقيب رشوسا (٢٥ يونيه — ١٨ يوليه) . وصحبه فريق من قوات البرابيش المساعدة بضم ستين رجلا مسلحين ببنادق ١٨٧٤ . ولكن فعالية فريقهم لم تكن على مستوى حسن استعدادهم فخلال المعركة ضد المتمردين — الذين انهزموا في موقعة اغيار (٢ يوليه) تشتتوا فارين مطلقين النار في كل اتجاه ، مما شكل خطرا على الكتيبة والمتمردين على حد سواء وبعد المعركة أعطيت الاوامر لهذه القوة المساعدة ، بمطاردة الثوار الذين لجأوا الى الغابات المجاورة فتبعوهم حتى وصلوا الى أول شجرة ، ثم عادوا بعد ذلك معلنين ان المطاردة مستحيلة . وقد أصيب منهم في المعركة سبعة رجال ، مات أحدهم في الليلة التالية .

وباختصار ، فان هذه القوات المساعدة ، بسبب فقدانها الكوادر ، والانضباط والتدريب العسكري ، لم تكن لها فائدة تذكر : وكاد البرابيش أن يكونوا مثل قضية كنتة المؤسفة في الكطارة .

وفضلا عن ذلك يبدو ان البربوشي ـ كذلك الكنبتي ايضا ـ هو مقاتل عندما يكون الخطر الذي سيواجهه في ادنى مستوياته ، بينما تنقصه صفات المحارب الحقيقي . فهو بعيد عن أن تكون له « جرأة » جنودنا ، أو حتى جرأة الطوارق . واذا كان له دهاء هؤلاء ومكرهم ، فليست لديه صفات الإقدام ، والحماسة والبسالة الضرورية للقتال ولا يعطيه واجب الدفاع عن ماله، وأحيانا عن نفسه الحافز الضروري . وهو يتنقل بكل خيلاء ببندقيته ، مستعملا اياها عند الحاجة ، ولإطلاق أعيرة نارية هنا وهناك ، محدثا الكثير من الاصوات ، ولكنه عندما يتلقى الامر من عدو صارم بالتخلي عن سلاحه ، وعن قطيعه ، أو حتى السير خلف ذلك العدو ، فهو يطيع بسهولة عجيبة (كذا !) .

خلال شهر ابريل ١٩١٤ ، قام غزو من الركيبات قوامه ٢٥٠ رجلا ، بمهاجمة قافلة الصيف التي لم تكن مصحوبة بقوات حماية. واستولوا على ٢٣ بندقية من صناعة ١٨٧٤، كانت عرية عند أصحاب القافلة و ١٢٥٠ جملا أغلبيتها للبرابيش . وكانت حالة قواتنا العسكرية تمنعنا ـ ويا للاسف ـ من أية محاولة لتعقب النهابين وردعهم .

وعلى الاثر ، وبفضل سهولة السلب وعدم خطورته ، كانت المنطقة عرضة لعدة غزوات صغيرة ، كلها قادمة من تافيلالت ، وتمكنت من الاستيلاء على العديد من الابل والخدم . وكانت احداها مؤلفة من ٨٠ رجلا من الركيبات . وقد استولت على ٧٠٠ من الابل، في شهر يوليه عند فاكيبين ، وهربت بها في اتجاه الغرب .

وأخيرا جاء الى الحوض سنة ١٩١٦ ، غزو كبير من الركيبات يتألف من ٤٠٠ الى ٥٠٠ رجل . وتوزع على عدة فرق متساوية العدد ، وجال وصال في المنطقة ، ما بين خاي ، وتينبكتو لسلب الإبل التي تملكها القبائل المنتجعة في المنطقة .

وهاجم فريق منه في ١٠ من دجنمبر ١٩١٦ ، حيا من البرابيش على بعد ٥٠ كيلو مترا شمال تينبكتو . ودفعنا ذلك الى ارسال قوة عسكرية من تينبكتو لملاقاة قافلة الشتاء وحماية طريق أروان ، وتعزيز اجراءات الامن .

أما الفريق الغازي ، فبعد أن قام بفعلته اقترب من زملائه الذين كانوا في المنطقة الشرقية. وكان عرضة لمطاردة وحدات المهارى التابعة لولاتة وتيشيت ، والتي لحقت به ، مما أدى الى خسارة عدد من رجاله ومن الحيوانات المنهوبة واضطر لترك أكثرية الابل المسلوبة .

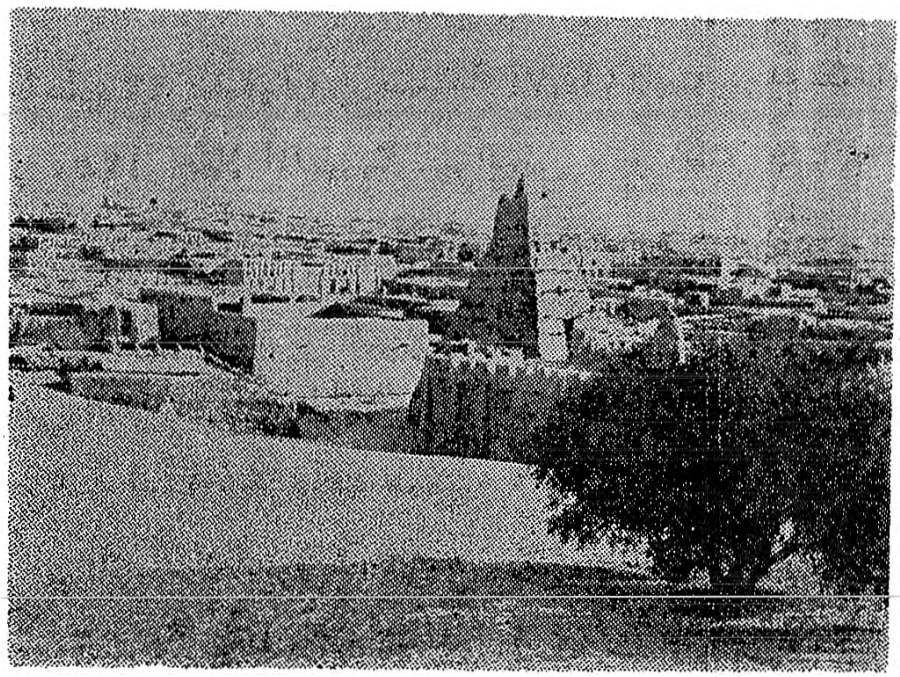

صورة لتينبكتو مع الجامع ، سنة ١٩٢٠

الباب الثاني

الشخصيات الحالية

١ ـ سيدي محمد ولد أمهمد وابنه الخليفة :

لقد ولد سيدي محمد ولد امهمد ولد أحمد ولد عبيدة حوالي (١٨٤٨) . وهو رئيس الفرع الآسن من خيمة امارة البرابيش ، وحل محل أبيه على رأس القبيلة سنة (١٨٨٠) .

ومن ذلك الوقت حتى (١٨٩٤) اتسمت علاقاته بالود مع كلنصر ، وقبائل كل تادمكت المختلفين (بنچريچف وايغوادرن) وكذلك مع كنتة ، وبالمقابل كان في صراع علني مع أولاد علوش الاعداء الطبيعيين القبيلة .

وبعد احتلال تينبكتو بقليل اتصل بالفرنسيين وأبلغ العقيد جوفر رغبته في إقامة علاقات طبيعية معهم ، وفسر ذلك على انه دليل على الخضوع ، وأعطى الأمان في ١٩ فبراير ١٨٩٤ .

وكان سلوك ولد امهمد كما يدعى عادة أو « سلطان أزواد » ، ـ كما يسمي نفسه في رسائله ـ كان هذا السلوك طيبا ولكنه لم يلبث أن غيره بتأثير من انغونا ، رئيس كلنصر المتمردين وكذلك [الشيخ] عابدين الكنتي . فقد تمكن من السيطرة عليه تماما وحرضه على القطيعة معنا .

وانتهت آخر ترددات سيدي محمد بعد قضية سريري (يونيه ١٨٩٧) ، حيث هلكت الكتيبة السباهية بقيادة شيفينيي ولاتور .

وفي شهر يناير ١٨٩٨ ، قام بتقديم طلب بالغ الوقاحة [!] هو الغاء العشر عن البضائع القادمة من تينبكتو التي تختص قبيلته بجزء هام منها ، خاصة الضرائب المفروضة على آزلاي الملح . وحتى ذلك الوقت لم يكن الرئيس البربوشي قد زار تينبكتو ، وكان يقدم الاحتجاجات الشديدة اللهجة والمستنكرة، كلما مرت وحدة عسكرية فوق أرضه ، أو شربت من مياه أحد آبار القبيلة ، ومضى الى أبعد من ذلك ، مطالبا بتقديم مبلغ مالي سنوي ، كما يفعل فرنسيو سنغال مع عدد من رؤساء قبائل موريتانيا . وبما أنه لم يتلق ردا مرضيا ، وبرغم خضوع انغونا ثم موته (١٨٩٨) ، وبرغم العمليات الأمنية التي قام بها العقيد كلوب لدى ايغوادرن في يونيه (١٨٩٨) التي جلبت له بعض الوقت الخوف ، بالرغم من ذلك كله ، دخل نهائيا في الصراع معنا (شتنمبر ١٨٩٦) . ورغم أن قوة كبيرة أرسلت لمطاردته ، إلا أنها لم تتمكن من اللحاق به مع أنها ساهمت في اخضاع القبيلة (دجنمبر ١٨٩٩) .

وكانت نتيجة المفاوضات التي ادت الى السلام العام ، وتعيين محمود ولد دحمان رئيسا للبرابيش ، انتهت بتجريد ولد امهمد العلني من منصبه ، وحرمانه من مكسب السلام . وعندئذ ارتحل الرئيس المخلوع الى الغرب ، ومعه عدد من اتباعه المخلصين ليعيش بين أفخاذ مشظوف ، ولدى رئيس أهل سيدي، المختار ولد عبدوكا

وفي مايه ١٩٠١ قام سيدي محمد بجس نبض سلطات تينبكتو ليعرف ردها على اقتراحاته السلمية . وكان ذلك بسبب حنقه من الاتاوات التي كان عليه ان يدفعها لمشظوف وشوقه الى مراعيه وخاصة حاجته الى أرباح تجارة الملح ، وقد منحه العقيد ايكورسي الامان ، ولكن البربوشي تردد في آخر لحظة في العودة ، وانهمك في تعكير الجو بين أفراد القبيلة ، مما أدى الى فوضى عامة بتحريضه . وبمملأته ومساعدته ، انقض الهوكار على أحياء البرابيش الخاضعة ، وذلك في أكتوبر ١٩٠١ .

وفي أبريل ١٩٠٢ ، جاء الخليفة الابن البكر لسيدي محمد ، الى تينبكتو مندوبا عن والده ، وبعد لقاء طويل جدا ، كانت بدايته صعبة مع محمود ولد دحمان ، تم التفاهم على وضع أسس لاتفاق غير كامل ، فنظروا الى وضعه السابق ، سمح لسيدي محمد بالبقاء مستقلا نسبيا ، مع عدد من الخيام ، أما الرئيس الجديد محمود الذي أصبح ايضا رئيسا لسيدي محمد فسيتركه وشأنه وذلك ليوفر له قدرا من الاطمئنان . وظلت الامور هكذا لمدة سنة .

وفي بداية ١٩٠٣ انسحب سيدي محمد الى زدالك قرب ولاتة، ووضع نفسه تحت سيطرة مشظوف واستأنف الصراعات ، فقد قاد بنفسه مع المختار ولد عبدوكا غزوا من سبعين رجلا ، حيث هاجم مخيمات البرابيش الخاضعين قرب أروان ، وسلبوهم مائتي ناقة ، وحاول اغتيال منافسه الذي كان أكثر منه حظا وآوى عدة مخيمات متمردة . وفي نهاية السنة نفسها جاء مع عدد من الرجال الى تنغ الحي على مسافة مسيرة يوم من تينبكتو ، واختطف ستين ناقة .

وفي سنة ١٩٠٤ تمردت اكثرية احياء اولاد ايعيش ، واولاد عمران ، وذلك بتحريض منه ، واخذت معها ثلاثين جملا ، وفرسا لمحمود ولد دحمان ، و ٢٥ جملا الكوانين .

وفي سنة ١٩٠٥ ، قامت عصابات صغيرة مؤلفة من البرابيش المتمردين وأهل سيدي (مشظوف) بالاغارة على احياء البرابيش ، التابعة لمحمود ، وحتى على أهل سيدي علي ، وهم من الزوايا تحت رعاية البرابيش وكنتة . وأشاع سيدي محمد في ذلك الوقت ، أنه لا يريد حرب الفرنسيين ، ولكنه مستعد لحرب عدوه محمود . وعندئذ استعملت الاساليب الدبلوماسية . فقد حظر على محمود ولد دحمان القيام بغزوات مضادة ، ومنع من استعمال سلاحه الا دفاعا عن نفسه . وكلف الرئيس العام لكنتة حمادي ، بعدة مهام ، من أجل الوصول الى اصلاح ذات البين بين الرجلين . ولكن هذه الجهود لم تثمر .

وتمكنت الكتائب المكلفة باحتلال مناطق الساحل والحوض الشرقي ١٩٠٥ ــ ١٩٠٦ ، من اخضاع المختار ولد عبدوكا وبالتالي سيدي محمد وأكثرية المتمردين معه (بداية ١٩٠٦). وأقام الرئيسان مع أحيائهما بالقرب من أروان ، وبجانبهما عمر التيني الذي تزوجت ابنته من محمد ، الابن الثالث لسيدي محمد .

وكانت هذه الاحياء مصدر القلاقل للقبيلة .

وساد الاعتقاد بأن الهدوء سيعود اذا ما اعطيت لسيدي محمد قيادة رسمية . فقسمت القبيلة الى جزئين ، ترأس سيدي محمد الجزء الذي كان يضم الافخاذ التي كانت تقليديا مرتبطة به أو تلك التي ربطت مصيرها به .

غير أن هذا الوضع لم يدم طويلا :

ففي فبراير ١٩١٠ أعلن سيدي محمد ولد امهمد التمرد [من جديد] صحبة ابنيه الخليفة ، ومحمد ، وعمر التيني ومعهم ستون خيمة ، جلهم من أولاد سليمان ، وأولاد ايعيش ، واتجهوا الى الشمال .

وعلينا أن نتساءل لم هذه المغادرة ؟ فالحالة كانت هادئة وكانت العلاقات طيبة بين هذا الزعيم وسلطة تينبكتو ، برغم بعض التوتر .

وكان النقيب كوتن ، قد قام بجولة في البرابيش في نهاية ١٩٠٩ ، استقبل فيها بخشونة من قبل الخليفة ولد سيدي محمد، الذي كان قد أبلغ قبل ذلك بهذه الجولة ، مخافة تفسير خاطىء . وقد ابعد الأحياء عن طريق الضابط مما أدى الى عقابهم .

واعلن ولد امهمد في أروان ، أنه سيتوجه الى تاودني ليحطم مقالع المسلح ، ويحمل معه كل الخدم العاملين فيها . ولم ينفذ من تهديده الا الاستيلاء على مخازننا من الحبوب ، وأسر قائد القرية المدعو آباكينا .

وفي اكتوبر ١٩١٠ ، وصل غزو مختلط من البرابيش وكنتة الى ازواد ، وانقسم بالقرب من أروان الى قسمين ، بعد مشادة بين الطرفين أدت الى سقوط عدد من القتلى . وواصل قوم [الشيخ] عابدين ، غزوهم بينما عاد البرابيش أدراجهم . وعند العودة الى الميدر ، احتج البرابيش بشدة على كنتة، واتهموهم بتقتيل رجالهم. وادت هذه الخلافات الخطيرة ، الى عودة البرابيش وخضوعهم .

فقد طلبوا الأمان ، وعادوا الى تينبكتو ، وبنبا ، وبوريم ، وهم لا يملكون شيئا (ميه ١٩١١) .

غير أن سيدي محمد وابنه الخليفة ، بقوا رافضين كل خضوع بل قادوا غزوات عدة ، خاصة ضد ابناء عمهم ، كنوع من الانتقام منهم بسبب عودتهم .

وفي بداية ١٩١١ ، استولى الخليفة على قافلة لكنتة ، تتألف من ألف بعير ، كان أصحابها قد تجاهلوا تحذيرات الضباط ، ورفضوا السير مع جمهرة القوافل المحروسة من قبل المهارى .

وفي سنة ١٩١١ ، وصلت حركة كبيرة بقيادة الخليفة ، الى تاودني عن طريق توفورين وأم العسل (١٦ نوفمبر) . وهاجمت هذه الحركة مقالع الملح وسلبت السكان . وطاردها فريق بقيادة الملازم بوسويلوالد ، فهربت منه وتفرقت . وتمكن جزء منها من الاستيلاء على ٥٠٠ ناقة لأولاد غنام ، وأولاد ادريس قرب ابغادير شرق بوجبيهة . وقد اتجهت نحو الشمال ، وطاردها فريق بقيادة الملازم غالت لا لاند ، حتى الحدود الجزائرية وذلك عبر اشنشبان ، والكطارة ، وتاودني وأم العسل (١) .

وفي بداية ١٩١٣ ، عاد الخليفة الى أزواد على رأس غزو صغير واستولى على الخمسين من الابل في بوجبيهة . وعاد عبر انشاي الى الشمال مكتسحا جميع ما مر به ، الا أنه اصطدم في ٣ و ٤

---

(١) كثيرا ما يظهر التناقض في سرد العمليات ونتائجها . وهنا مثال حي على ذلك . فهذا الغزو قد تشتت وهرب كما يقول . ولكنه استولى على مواشي جديدة، مما يثبت انه لم يهرب ولم يتشتت . (المعرب)

ابريل ـ قريبا من غريزيم ، وعند عبوره لعرق ايكيدي ـ بكتيبة السويرة الصحراوية ، مما جعله يفقد العديد من رجاله مع الجزء الأكبر من المواشي المنهوبة .

ولم يكن حظه أسعد في نهاية السنة ، عندما لحقت به قوة في الميدر ، أفقدته خمس رجاله بينما احتفظ بمنهوباته الجديدة .

وفي دجنمبر ١٩١٥ ، تزعم الخليفة بن [الشيخ] عابدين الكنتي في تافيلالت ، غزوا ضم البرابيش ، وكنتة المتمردين ، والتحقت بهم مجموعات من عرب وتجكانت ، وأولاد عبد الوهاب . وبينما توجه كنتة الى الشرق نحو شمال بنبا ، اتجه البرابيش الى شمال تينبكتو ، حيث بدؤوا النهب على مسافة قريبة من المدينة . وقام أنصارنا المسلحون ببنادق ١٨٧٤ ، بصد الغزاة في كل مكان . ووقعت خسائر جسيمة في صفوف الجانبين : لأن هؤلاء الغزاة يتمتعون بالتسليح الكافي والذخيرة والمؤن . وقد وجدنا على أرض احدى المعارك منظارين مقربين .

وفي الوقت نفسه كانت تصل اليهم نجدات من الشمال تضم ٢٥ الى ٣٠ مسلحا . وقد اظهر البرابيش ، وكل أروان مقاومة غير معهودة بعد أن كانوا يفرون في وجوه الغزاة ، مما جعل خسائر المنطقة قليلة نسبيا . وهزم الخليفة في بداية ١٩١٦ ، عند بئر هروغ على مسافة ١٨٠ كيلو مترا ، شمال شرق تينبكتو ، وفر تاركا خلفه عددا من القتلى .

وخلال عملية الغزو الشاملة التي جرت في نهاية ١٩١٦ ـ وكانت فيما يبدو لخلق تعاون بين جنوب المغرب وقبائل الصحراء الشرقية

الثائرة ـ خلال هذه العملية لعب الخليفة دوره بنجاح . فقد وصل في نهاية شهر دجنمبر الى أزواد ، واتجه الى الشرق كي يقترب من ايليمدن ، وكنتة ، وكل الايير المتمردين . ولكن بعد مركز نشاطه المعتاد ، ووجود سرايا مسلحة في المنطقة ، جعلته يلتزم جانب الحذر . واكتفى بالانقضاض على كاءو في ميه ١٩١٧ ، واستولى على مائة ناقة ، وثلاثين من الخدم ، على بعد أربعة كيلومترات من المركز . وأسرع في اتجاه الشمال الشرقي دون انتظار مواجهة جنودنا .

وقد انطلقت شائعات عديدة،بأن سيدي محمد وابنه الخليفة، كانوا راغبين في الخضوع . وكان ذلك بمثابة أغنية تردد كل سنة ، وهي أحيانا تتردد عن المتمرد البربوشي ، وأحيانا أخرى عن [الشيخ] عابدين المتمرد الكنتي . وفي سنة ١٩١٥ ، أكد التاجر محمد البشير القادم من الشمال ، انه قابل سيدي محمد الذي كان في حالة ملل من حياة المغامرة ، ومستعدا للخضوع ، إذا تأكد له أنه سيستقبل بود في تينبكتو . وعاد محمد البشير في بداية ١٩١٦ الى غرب وادي درعة ، حاملا معه الضمانة المطلوبة .

وبعد عدة مقابلات مع وجهاء ايت خباش، وعريب، والبرابيش المتمردين، لم يتمكن من استعادة إبله المنهوبة من تاودني، الا بفضحه موقف ايت خباش ، الذين تغلبوا على المعارضة المكشوفة للعجوز سيدي محمد .

وقال التاجر انه في المقابل ، لقي استقبالا حسنا من طرف الخليفة ولد سيدي محمد ، الذي كان يفكر بإخلاص ـ فيما يبدو ـ

في الخضوع . وبعد هذه المفاوضات ، انحاز عدد من البرابيش الى الخليفة ، لطلب السلام والعودة الى تينبكتو . أما الباقون فقد ظلوا الى جانب رئيسهم العجوز ، مع الجماعات الرافضة للخضوع .

ومن المؤكد أن خضوع الخليفة ، سيجلب خضوع أغلبية المتمردين البرابيش ، ويضع حدا للغزوات . ويتفق سكان البادية وتينبكتو ، على ان من الأفضل ، أعطاء الأمان لهذه الجماعات بعد عودتها ، وذلك بغض النظر عن الأضرار التي ألحقتها بهم ، والتعويضات التي باستطاعتهم المطالبة بها ، كما يجب الكف عن اية متابعة أو عقاب للغزاة السابقين .

لقد كان سيدي محمد يوصف في عام ١٨٩٩ ، بأنه « بليد ، مفسد ومتعصب » . ويقول رأي آخر سنة ١٩٠٢ بأنه « لا يتراجع عن مواقفه » . ويمكننا أن لا نظلم الذين أعطوه هذه الصفات ، لأنها تتطابق مع الواقع . غير أن لها أخواتها من الصفات الحميدة ، والتي تتمثل في كرمه وفروسيته ونشاطه ، مما جعل له الكثير من المخلصين والأحبة الذين وجدوا أنفسهم مرغمين على اتباعه في تمرده . وعلينا أن نعترف بأنه منذ غادر (سنة ١٩٠٩) ، بدأت موجة عاتية من القتل ونهب الابل ، كان ضحيتها بدو المنطقة ، خاصة البرابيش الخاضعين .

وكان لسيدي محمد عدة أبناء أشهرهم :

١ ــ الخليفة : وهو بطل الغزوات المذكورة آنفا . من مواليد ١٨٨٠ ، وكان أعرجا .

٢ ــ البكاي : وكان زوجا لابنة عمر التيني (١) . وبعد أن كان مفاوض محمود ، قتله هذا الرئيس ، ابان غزوة مضادة نظمت في ظروف ما تزال غامضة وذلك بتواطيء مع ترجمان منطقة تينبكتو عثمان ديكو (٢) .

٣ ــ محمد : قتل رميا بالرصاص سنة ١٩٠٠ ، في تينبكتو ، لانه اغتال أحد الجنود .

٤ ــ محمد (٣) الذي عاد سنة ١٩١٠ مع غزو برئاسة بابا ولد عابدين ، وأعان خضوعه في شتنبر من نفس السنة . ويقول بعض المخبرين إنّ لسيدي محمد ابناء آخرون ولدوا بعد هجرته .

٢ ــ محمود ولد دحمان

ولد محمود ولد دحمان ولد احمد ، حوالي ١٨٧٠ ، وهو ابن عم سيدي محمد ولد امهمدا ولد أحمد . وقد حل محله كرئيس للبرابيش في ٢٩ من ميه ١٩٠٠ ، يوم أعلن رسميا أن السلام قد منح القبيلة . وأن سيدي محمد الرئيس السابق القبيلة قد جرد من الرئاسة بعد هجرته .

---

(١) لقد جاء في نص سابق ان زوج ابنة التيني ، هو محمد الابن الثالث لسيدي محمد ولد امهمد . (المعرب)

(٢) جاء في الحديث السابق عن مفاوضات محمود ولد دحمان ، ومندوب عن سيدي محمد ، ان هذا المفاوض هو الخليفة . (المعرب)

(٣) ليس من العادة ان يطلق اسم واحد على اخوين اللهم في حالة موت الابن البكر الذي يطلق اسمه على الولد الذي يأتي بعده . (المعرب)

وقد أقسم علنا كل رؤساء الأفخاذ بالولاء له وطاعته .

وكان دحمان والد محمود ، قد قضى نحبه في معركة مع ترمز وأولاد علوش ، إبان ثورة ترمز على البرابيش (١٨٨٦) .

وقد كان محمود على خلاف دائم مع المتمردين الموالين لابن عمه ، وأحتج بمرارة على منعه أكثر من مرة من أستخدام السلاح لاستعادة حقه .

وفي ابريل سنة ١٩٠٢ ، جرت مقابلة بينه وبين الخليفة ، الابن الاكبر لسيدي محمد ومندوبه ، في مكتب السلطة العسكرية في تينبكتو ، وأدى هذا اللقاء الى استقرار مؤقت ، ثم استؤنفت الصراعات .

وفي سنة ١٩٠٦ ، وخلال الثورة الشاملة التي قام بها الموريتانيون بعد سماعهم لأحداث الشمال الموريتاني ، ووصول [الشريف] مولاي ادريس ، تأثر محمود كثيرا بهذا الجو . واختشينا بعض الوقت من انضمامه الى الثورة ، خاصة بعد المؤتمرات العديدة والطويلة ، التي عقدها مع المرابط الكنتي المعادي لنا : سيدي محمد ولد حيبلله . فمحمود ، المعروف بضعف شخصيته ، كان من المنتظر أن يكون دمية سهلة ، بين يدي مرابط ذي طاقة وتأثير مثل ولد حيبلله .

وفي سنة ١٩٠٧ ، فكرنا أنه عن طريق اجراء دبلوماسي لبق ، يمكننا وضع حد للفوضى التي عمت القبيلة . اذ أن سيدي محمد قد جاء ليعلن خضوعه ، فحاولنا كسبه نهائيا عن طريق توزيع القيادة في القبيلة .

وقد قبل محمود بطيب خاطر ، الحد من سلطته، الا أن ذلك لم يدم طويلا على كل حال . وخلال فترات قيادية ، قدم محمود خدمات جليلة . ففي نونمبر ١٩٠٩ ، أظهر أهميته ، في مرافقة الضابط غروسدمانج ، على رأس طلائع عسكرية ، مما أدى الى معركة أشورط (٢٩ ـ ٣٠ نونمبر) . والذي منعه من الاسهام فيها هو أنه كان قد أرسل في ٢٢ من الشهر على رأس مسلحي البرابيش، لحراسة قافلة الشتاء .

وفي السنة نفسها قام بغزو مضاد ضد سيدي محمد ولد امهمد ، حيث قتل ابنه البكاي ، الذي باغته في حيه . واصاب ابنه الثاني الخليفة بجروح . وكان هذا العمل البطولي الموجه تقريبا من تينبكتو ، قد أدى الى الحكم على محمود بالسجن وبغرامة ٢٠٠ فرنك ، وبإعادة الاموال المسلوبة .

وفي نونمبر ١٩١٣ نهض لمطاردة غزو كان قد سلب مواشي القبيلة شرق تينبكتو ، واستعاد ٢٠٠ ناقة .

وصفة المحارب تلتصق بمحمود أكثر من صفة الدبلوماسي أو الاداري. وكان دائما ضمن الغزوات التي تجابه الركيبات، والهوكار، حيث يحقق بعض النجاح .

وكان محمود فظا متوسط الذكاء ، ولكنه متفتح وودود .

وواضح أنه أصبح مرتبطا بنا نهائيا . وهو يدفع العشر السنوي بانتظام ، ويلبي عموما طلباتنا ، بنقل البريد وتقديم الجمال للنقل . كما كان يقوم بارسال بعض القوات المؤلفة من ذويه لمساعدتنا ، وليست له شخصية القائد الكبير ، أو التأثير العام المسلم به ، أو الحزم الكافي . ومع ذلك فهو رئيس طيب ومخلص ، قاتل معنا ، وأعطى الدليل القاطع على ولائه .

ويمكن تبرير حقه في الرئاسة حتى ولو لم يكن ذلك الحق اكيدا واصيلا ، مثل اصالة حق ابن عمه فيها اذ أن الحق في الخلافة عند هذه القبائل الصحراوية ، لا يثبت فقط بمجرد الانتماء الى عائلة الابن البكر . فالقيادة موروثة لكل أفراد العائلة ، والمستحق لها عند شغور المنصب ، هو من تتوفر فيه عدة شروط : السن المرضية ، والحضور الشخصي ، والغناء والصفات الحربية ، والادارية ، والخلقية ، والكرم المعترف به الى آخره . وبعد ذلك يأتي دور الجماعة في اتخاذ القرار .

والبرابيش — الذين ملوا تمرد سيدي محمد الدائم وغزواته التي كانوا ضحاياها ، ويريدون العيش بسلام مع الفرنسيين ، ويتكيفون مع الوضع الجديد ، — قد اختاروا رئيسا جديدا هو ابن العم الأصغر للرئيس السابق . وكان محمود يشاطرهم الأفكار نفسها حول الوضع الجديد وابدى تصميما على القيام بمهمته . وبعد اختياره ، قبلته السلطات الفرنسية دون تحمس ، لأن الأفضل مفقود ، خاصة أن ولد امهمد كان متمردا . والهدف من هذا كله هو الحصول على الاستقرار والازدهار .

وهكذا كان تعيين محمود في الرئاسة شرعيا تماما ، والذي منع آخر المتمردين من الانضمام اليه افتقاده جزئيا الى اللباقة الدبلوماسية وكونه عيي اللسان . وقد كفلت مساعدتنا الهامة له تعزيز سلطته .

وهل كانت عودة سيدي محمد واستعادته للقيادة ستمكن من تحسين الامور ؟ لقد كان ذلك محتملا في السنوات القليلة الماضية . وهو ما كان سيخفف بدون شك الغزوات . أما اليوم وبعد احتلال

الحدود الجزائرية المغربية الجنوبية ، فسيتم وضع حد للغزوات ، ومن ثم لن تضيف عودة سيدي محمد أي جديد ، ويمكننا أن نعيده هو شخصيا ، أو أحد أبنائه الى القيادة اذا ما طلب ذلك ، ولكن مع التروي قبل تجريد محمود من قيادته خاصة انه من رعايانا المخلصين الأوفياء بينما نعتبر سيدي محمد عدونا والمحرض علينا . واذا ما تخلينا عن محمود فسيتأكد عندئذ الوصف الذي يطلق علينا عادة بنكران الجميل في سياستنا الصحراوية السودانية ، كما سنرتكب خطأ اداريا فادحا ، ونخلق لانفسنا مصاعب جديدة .

٣ ـ عروة رئيس أروان :

ينحدر عروة رئيس أروان ، من العائلة التي تقود منذ قرون هذه الناحية . ويقال إنهم منحدرون من الهجرة الأولى للرحامنة وأولاد عبد الرحمن ، وكان جده الشيخ سيدي أحمد بن آدّ ، قد استقر في أروان التي لم تكن سوى بئر ومكان لتوقف القوافل الصحراوية ، وقد انشأ بها زاوية صغيرة ، وبعد ذلك لحق به أبو مخلوف ، جد أولاد سليمان ، الفخذ القائد في البرابيش ، الذي استقر الى جانبه ، وكان تلميذه الوفي . ومنذ ذلك الوقت ، وعبر الأجيال ، توطدت علاقات ودية عززتها المصالح والصلات الزوجية بين البرابيش وأهل أروان .

لقد ولد عروة ولد سيدي امحمد ولد الحبيب ، حوالي ١٨٣٥ وكان جده الحبيب ، من الذين قيل انهم قتلوا أو ساهموا في قتل الماجور « غوردن لينغ » غير أن روايتي « ريني كايي » « وبارث » ليستا قاطعتين بخصوص هذه النقطة ، والذي لا جدال فيه ان الذي قام بالقتل هو رئيس البرابيش .

وسيدي محمد والد عروة ، ولد سنة ١٨٠٠ ، وقد مات وعمره مائة سنة . وقد استقبل سيدي محمد الرحالة « لينز » عند مروره بأروان في يونيه ١٨٨٠ ، وخصص له استقبالا حسنا ، وحاول مع الكثير من الحجج ، حسب ما يقوله الرحالة ، أن يثبت براءة والده من عملية القتل السالفة الذكر .

وقد قام عروة بدراسات إسلامية جيدة في قريته ، وهو عربي مثقف ومؤرخ محلي يملك العديد من الوثائق عن ماضي القبائل الصحراوية في أزواد ، وفي المناطق المجاورة .

وكان صاحب ثروة جيدة ، الا أن غزوات « الهوكار » اتت على تلك الثروة . وفقره الحالي لا يسهل عليه أمور قيادته . ومع ذلك ــ فباستثناء تجاكانت ، الذين يشكلون نصف سكان القرية ــ ما تزال عائلات أروان الأصلية خاضعة له .

وبما أنه رئيس لبلدة صحراوية ، معرضة لغزوات الجنوب والشمال ، فقد اختار سياسة تواكب كل ظرف . فقد اظهر كثيرا من الاخلاص للفرنسيين ، سادة تينبكتو . الذين هم المسيطرون على تموين أروان ، هذا في الوقت الذي احتفظ بعلاقات جيدة مع زعماء الشمال المتمردين : سيدي محمد ولد امهمد و [الشيخ] عابدين الكنتي ، وغيرهم من وجهاء جماعات تلك الاصقاع .

وهنا لا بد ان نعرب عن رضائنا عن الخدمات التي يقدمها ، والأدلاء الذين يرسلهم مع قوافلنا المكلفة بمطاردة الغزوات وغبطتنا بمبادراته بتوفير الجمال ، لنقل رجالنا ، وتدخلاته الحميدة لحل مشاكل قوافل الملح التي تتكرر سنويا . ومعلوماته المهمة في أغلب الأحيان . غير أنه من جهة أخرى ، قد زار تافلالت سنة ١٩٠٤ ،

وقابل عدونا [الشريف] مولاي ارشيد خليفة الشريف في تلك المنطقة وكان يزور الشيخ عابدين وأصحابه ، ومن المفروغ منه ، أن عروة كان بذلك ينحاز الى جانب اعدائنا . ومن ذلك الوقت ، زار مرات عديدة الجنوب المغربي ، ولم يكتم اتصالاته مع المتمردين ، وتعززت تلك العلاقات بعد هجرة صديقه سيدي محمد [زعيم البرابيش] .

وقد سعى عروة الى إقناع الرئيس البربوشي المتمرد بالعودة وأجرى مفاوضات عديدة لتحقيق هذا الهدف ، وليس واضحا الى أين تصل حدود هذه المفاوضات وما هي العروض التي كان يقدمها. وقد طلب في يوليه ١٩١٦ ، رغم تقدمه في السن ، السماح له بزيارة المنطقة الواقعة بين وادي درعة ، وتافيلالت ، لاجراء اتصالات مع رؤساء البرابيش « الراغبين في تحقيق السلام معنا » . وكان من الصعب حمل هذا العجوز التأتاه : عروة على الافصاح عن الظروف التي تلقى فيها عروض السلام تلك . وأية أسباب تدفع المتمردين لذلك ؟ وما هي احتمالات المستقبل ؟. وعند الإلحاح عليه تنتاب ذلك العجوز الماكر نوبة ارتعاش الشيخوخة ، ثم تؤدي خيبته في مسعاه ، الى التفوه بكلمات غير مفهومة ، وعلى كل فقد رفض الإذن له .

مع ذلك فان هذا العجوز يبقى لطيفا ، ولا يمكننا أن نسيء اليه بمجرد أنه أراد الاحتفاظ بعلاقات طيبة مداراة لكل أولئك الذين باستطاعتهم الحاق الأذى به . وأمنيته الأخيرة في الحياة، أن يحصل من الفرنسيين على مبلغ مالي ضخم : « يعيد به ترميم أروان ، الآيل الى الانحطاط ، وحتى يرثه عنه ابناؤه كما ورثه هو عن اسلافه ، وذلك امر ليس سهل التحقيق ما لم تجري الاصلاحات المنشودة ».

أما أخوه علي ، فهو يقطن تينبكتو منذ فترة طويلة ويمتهن التجارة وبالمناسبة فهو مخبر جيد ، عن شؤون الشمال . وصلاته ودية مع السلطة منذ احتلالنا .

ولعروة عدة أبناء هم : عروة ابنه البكر الذي يخلفه في وظائفه، والشيخ ، وسيدي ، وغيرهم .

٤ ـ احمد ولد حامية :

ولد أحمد ولد حامية ، في حدود ١٨٤٥ ، وهو الرئيس الحالي للكوانين وقد انضم الينا في الساعات الأولى من الاحتلال ، وساهم الى جانب حلفائنا المسلحين في معركة أكنكان (١٦ مارس ١٨٩٦) ، مع النقيب « لا بيرين » وكان دوره مميزا .

وقد اهتم أحمد بالتجارة منذ ذلك الوقت : اذ له علاقات خاصة مع كل طوارق العقفة . ويذكر انه صاحب املاك في تينبكتو، وله في اعناق اهلها العديد من الدين .

وظل دائما مخلصا لسيدي محمد ولد امهمد . ولا تطاله سلطة محمود ولد دحمان الا قليلا . وعلى كل فليس له نفوذ كبير . وظل سلوكه اتجاهنا دائما طيبا .

٥ ـ عمر التيني :

ان عمر التيني ولد محمد ، هو حفيد الحاج محمد ، الذي رأيناه في شجرة النسب المتقدمة . وينحدر من رحّال ، ومن ثم من سليمان بن ابي مخلوف ، جد خيمة الزعامة في البرابيش . فإذن هو ابن عم قريب لسيدي محمد ولد امهمد ، وبسبب قربه من هذا الزعيم ، تبعه عمر ، وشدّ عضده في كل الظروف . وكان مقتل

صهره البكاي ولد سيدي محمد ، على يد مخمود ولد دخمان ، بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير ، فأعلن التمرد والتحق برئيسه .

وقد مات ولداه الذان كانا يشتركان في غزوات الخليفة ، خلال المعارك التي جرت على التوالي مع قواتنا أو قواتنا المساعدة .

وعمر التيني مولود في حدود ١٨٥٥ ، ويعتبر مع رئيسه من المتمردين الذين لن يتراجعوا ، اللهم إلا اذا حدثت أمور ليست في الحسبان .

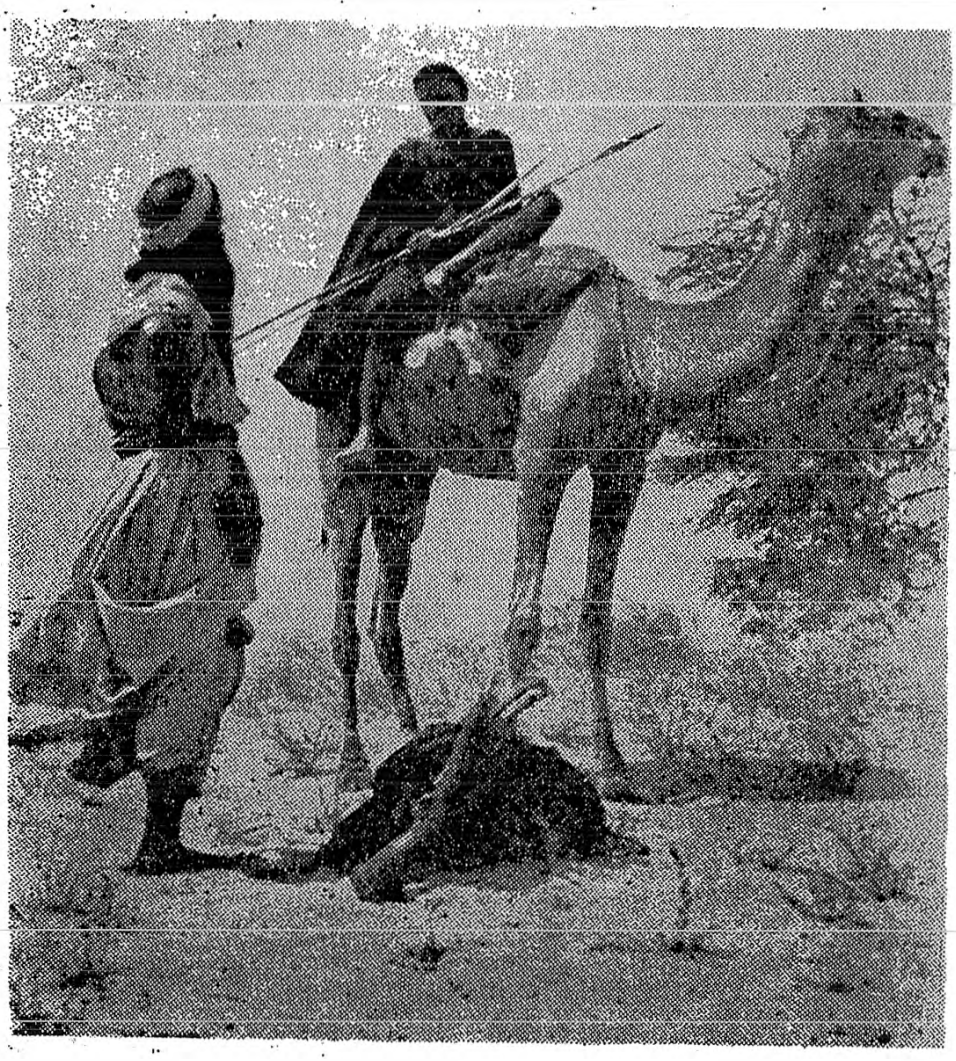

واكب من عرب الطوارق

الباب الثالث

تقسيمات القبيلة

١ ـ أولاد سليمان :
- ـ اولاد سليمان الأصليون (أهل رحّال ، أهل مرزوق بن الشيخ ، أهل يوسف الكبار ، أهل يوسف الصغار) .
- ـ أولاد اسعيد .
- ـ النهارات .
- ـ الرتيبات .
- ـ أهل النفع .
- ـ أهل منصور .
- ـ أهل السلام عليكم .

٢ ـ أولاد غيلان :
- ـ أولاد غيلان الأصليون (أولاد أحمد بن ابراهيم) .
- ـ أولاد عبد الله بن ابراهيم .
- ـ أولاد بوخصيب (أهل المجيد، الغميرات) .

٣ ـ أولاد ايعيش :
- ـ أهل القوني .
- ـ أهل حمّ .
- ـ أهل الحسن .

٤ ـ أولاد ادريس :
- أهل امبارك .
- أهل اعماره .
- أهل حموداذا .
- أهل بلة .
- أهل أعلي موسى .
- عريب .

٥ ـ أولاد غنام :
- أولاد معريك .
- أهل الحسين .
- أهل حماد .
- أهل حدي .
- أهل بجه .
- أهل بدة .

٦ ـ أولاد عمران :
- أهل الهادي .
- أهل الكوري .
- المحافيظ .

٧ ـ الكوانين الكحل :
- أهل بلال .
- أولاد محمد ولد سيدي أحمد .
- يادابس .

- أهل دختان .
- أهل الراحل .
- أهل اميلاه .

٨ ـ الكوانين البيظ : كنادى :

- أهل بوابعير .
- أهل هيمه .
- أهل اعلي ولد ماما .
- أهل عمر .
- أهل احمدو .

٩ ـ دكان

- ياداس .
- الزريبة .
- أهل بكار .

١٠ ـ السكاكنة :

- أهل بوصبيع .
- أهل الكنيبي .
- أهل كيجاجا .

١١ ـ أهل أروان :

- بني سيدي احمد بن صالح (سكان القصر) .
- بني احمد بن ايير .
- الحيسة .
- أولاد بهدة .
- النواجي
- الوسرة .
- تجكانت .

١٢ ـ أهل بواجبيهة :

وينقسم البرابيش من الناحية الادارية الى مجموعتين : تضم الأولى أولاد سليمان وأولاد غيلان ، وجزءا من أولاد ايعيش وأولاد غنام وأولاد ادريس ، والكوانين الكحل ، وهم برئاسة محمود بن دحمان . والمجموعة الثانية تضم : أولاد عمران وبقية الكوانين ، وركان والسكاكنة ، وبقية اولاد ايعيش وأهل أروان التابعين لعروة .

ويعتبر أولاد سليمان ، وأولاد غيلان ، وأولاد ايعيش ، وأولاد ادريس ، وأولاد غنام ، وأولاد عمران ، من الأفخاذ النبيلة ، أما الباقون فيعتبرون أتباعا مع أنهم لا يدفعون المغارم ، وينظر اليهم « كرعية » وليسوا من أحفاد الرحامنة .

وهم أنفسهم ينقسمون الى مجموعتين : أولاد سليمان وباطن الجمل . والفريق الأول من أولاد سليمان يضم : النهارات ، والمحافيظ ، وأولاد عمران ، والكوانين ، وأولاد سليمان ، والسكاكنة وركان ، وياداس ، وأولاد بهوندة ، وجزءا من أولاد ادريس وترمز .

أما باطن الجمل ، المؤلفون « من عناصر شتى » فهم أولاد ايعيش وأولاد غنام ، وأولاد غيلان ، وأولاد بوخصيب ، وبقية أولاد ادريس .

واضافة الى آبارهم المعتادة ، فهم يستخدمون مياه آبار انغارن واينبلاشا ، وتنغ الحي وامراتن ، وتينتاكونت ، والحجيو ، وغيرها ، ويردون هذه المناهل ، مشتركين مع أهل سيدي علي ، الذين هم عادة أشياخهم ، وكذلك مع كلنصر الشرقيين ، وكنتة ، وذلك بدون خصام .

وباستثناء الكوانين الذين ينتجعون عادة بالقرب من تينبكتو ، فان الجزء الأعظم من قبيلة البرابيش ، يتنقل دائما في مناطق أزواد

ذات المنابع الوفيرة . ولذلك فهم ليسوا بحاجة الى مياه النهر ، مما يجعلهم في منأى عن سيطرتنا ، خاصة أنهم لا يملكون غير الإبل .

وفي المقـابل ، فان كل تموينهم يأتيهم من تينبكتو التي هي المركز الأساسي لتسويق الملح الذي هو مصدر رزقهم الرئيسي .

هـذه هي وضعية القبيلة التي عـلى الإدارة أن تضعها في الاعتبار .

وسنصل الآن الى الحديث بتفصيل عن أفخاذ القبيلة .

١ ـ أولاد سليمان : وهم كما ذكرنا من العرب الأقحاح ، ومن أحفاد الرحامنة . ويشكلون الفخذ الأرستقراطي ، الذي يكون ضمنه الحي الاميري .

واضافة الى أولاد سليمان الأصليين ، نميز ضمن الفخذ :

أ ـ فخذا فرعيا من أولاد سعيد ، ينحدر من الهجرة الأولى للرحامنة . وكان جدهم سعيد شقيقا لشبل ، الذي هو جد رحمون والرحامنة الذين انحدر منهم البرابيش . وسعيد وشبل كانا ابني حمّ بن حسـان الذي هو أخ أودي .

ب ـ فخذ فرعي من النهارات منهم خيمة أولاد الخليفة ، تعد من أصل رحموني أما الباقون فهم ورثة العرابنة (عريب) .

وهنالك عدد من المخيمات الصغيرة من أولاد سليمان ، تعيش مع الكوانين ، ويعتبرون جزءا من هذا الفخذ .

ورئيس الرتيبات ، هو سيدي أحمد ولد المختار ، الذي خلف محمد المختار . أما رئيس النهارات فهو ابو بكر ولد الناجي ، الذي حل محل بادي ولد الحاج .

ومنهل أولاد سليمان الرئيسي ، هو تنغ الحي ، وتينتهون . وجميعهم ٢١٧ شخصا .

أما أولاد غيلان فهم أبناء عم القبيلة الكبيرة التي تحمل هذا الاسم نفسه في آدرار وموريتانيا . وهؤلاء وأولئك ينتمون الى اتحادية بني شبل الغابرة ، التي توزعت في الصحراء الغربية بسبب حروبها مع البربر سكان الأرض الاولين ، أو مع أشقائهم من بني حسان ، الذين جاءوا في هجرات جديدة . وشبل أخو أودي ، ودليم ، هو الابن الثالث لحسان . وبذلك تكون ذريتهم من العرب الأقحاح .

وكان وأولاد غيلان البرابيش ، يسكنون بلدة غرزق وارتحلوا عن جيرانهم بسبب الحروب الداخلية ، واتحدوا مع خصيب الحمالة .

أما جد الفخذ الثاني : أولاد عبد الله ولد ابراهيم ، فقد جاء مهاجرا بدوره واتحد مع الغميرات . واثر ذلك ، قام علي ولد الامين ، رئيس أولاد خصيب ، بنهب الغميرات بقضهم وقضيضهم ، وقتل خمسة عشر من رجالهم ، كانوا قادمين من تينبكتو . ولهذا السبب انضم أولاد عبد الله ولد ابراهيم الى أولاد غيلان ، وأهل اباني ، ودخلوا مجموعة أولاد غنام (اهل عمار) . وأهل اباني هم من أحفاد أولاد عبد الرحمن .

أما أولاد بوخصيب ، فينحدرون من سعيد الرباح . وكان جدهم خصيب بن عباد ، أحد قواد الخليفة المأمون ، الذي أرسله الى مصر لاستعبادها . وهذه الفترة من تاريخ [الخليفة] المأمون نعرفها عن طريق الرواية المحلية التي يحكيها البرابيش على طريقتهم

الخاصة . ولكن خصيب حكم مصر بعدالة ، وهزم كل الجيوش التي ارسلها المأمون لتأديبه على رفضه تنفيذ الأوامر . وفي الأخير قاد المأمون بنفسه جيشاً جراراً الى مصر ، وانتصر على خصيب وأسره . وأثناء استجوابه برر موقفه ، بأنه فضل طاعة الله على طاعة الخليفة الظالم ، فما كان من الخليفة الا أن أمر بصلبه .

وعندما كان يئن تحت وطأة عذابه ، جاء شاعر عربي وبدأ يلقي تحت قدميه شعراً في مدحه . وألقى اليه خصيب ، المعروف بكرمه، باقوتة كانت في جيبه . وخوفاً عليه من العقاب ناشده خصيب بالالتحاق بإخوته : بني خصيب الغربيين المسمون اولاد علي بن طلحة وقال له :

« إنهم رجال شجعان أشداء ، لم يتمكن الترك من البسيطرة عليهم كما سيطروا على بقية العرب ، وذلك رغم قلة عددهم » .

ورئيس اولاد خصيب الحالي هو ابو بكر ولد عمر .

وفي القرن التاسع عشر انفصلت هذه الأفخاذ عن المجموعات السالفة الذكر لتشكل التجمع الحالي .

ويوجد في أولاد غيلان ، حي الكمامنة الذي هو من أولاد رزق، أي من العرب الحسانيين . ورئيس أولاد غيلان هو محمد ولد علي ولد حمّ ، ومنهلهم العادي هو بوجبيهة . وعددهم ٢٦٧ نسمة.

ج ـ ويضم أولاد ايعيش عدة خيام من أولاد أحمد الذين هم من أبناء عمومة أولاد سليمان وقد جاءوا معهم في هجرتهم ، وهم من الرحامنة . وشخصيتهم الدينية الهامة هي عبدي ولد عمر محمادي الشيخ المولود حوالي ١٨٦٠ ، في تنغ الحي ، وهو تاجر صغير ، ولكنه محترم كثيرا ومن اتباع الطريقة القادرية وقد توجه

الى الحج في شتنمبر ١٩١٥ ، وحتى بداية ١٩١٧ ، لم يعد بعد الى أهله . ورئيس أولاد ايعيش هو الخيرو ولد المنة ، القاطن في أروان. وهم ينتجعون في عين الاي وأورزلي وعددهم ٣٥ خيمة . أما الذين هم تحت قيادة محمود ولد دحمان فهم ٩٧ خيمة .

د ــ ونرى بين أولاد ادريس أحياء من أصل الرحامنة . هم : أهل بحيدان وأهل علي موسى . وكان يشاع أن اصل هذا الحي الأخير من عريب .

أما الفخذ الفرعي : عريب ، فهو كما يوحي اسمه ، من قبيلة عريب الموجودة في الجنوب المغربي .

أما الأفخاذ الفرعية الاخرى من أولاد ادريس ، باستثناء أهل بلة ، فكلهم من أولاد رزق ، أي أنهم منحدرون من الهجرات العربية الحسانية الأولى ، في المناطق الصحراوية . وهم : أهل حمّ داده وأهل موسى بن علي ، وأهل عماره . ولم يأتوا الى المنطقة الا بعد تشكيل البرابيش كقبيلة . أما أهل بلة ، فهم أولاد عمومة أولاد بلّة قبيلة الحوض الكبرى التي تشتت عبر الصحراء ، وانصهرت في قبائل عدة أخرى ، وذلك بسبب الصراعات المتنوعة . وهم من أحفاد فرع من العرب الحسانيين هو داوود بن محمد .

ورئيس أولاد ادريس منذ اقصاء علي ولد حمادي ، هو علي ولد ختار . وينتجعون في عين انكمم وانبوكري وعددهم ٢٢٠ نسمة .

هـ ــ أما أولاد غنام فينحدرون من فتح الله ، ابن أحد اخوة ايعيش ولد العطشان . وفوق ذلك فجدهم المشترك ، هو غنام أخو شبل ، وسعيد وعمران ، وعكرمة ، الذين هم جميعا أولاد حمّ ولد حسان .

أما أهل موسى عريب ، الذين نجدهم في أولاد غنام فأصلهم من القبيلة الكبرى : عريب ادوالات ، من الصحراء المغربية .

وفرع أولاد أحمد الذي كان مزدهرا ، تقسم وانصهر في أولاد غنام . ولا تعرف منه الا خيمة واحدة احتفظت فعلا بأصلها .

وأولاد غنام الذين نجد أحياء تحمل اسمهم ، وأخرى تسمى الغنائمة في الواحات الصحراوية ، يرأسهم عمر ولد سيدي ولد بودية . وهم ينتجعون في نواحي بنبا وعددهم ٢١٠ .

و ــ وأولاد عمران والزبيرات (١) هم اخوة لأولاد بربوش ، وينتمون الى الرخامنة ، ورحمون هذا حسب الروايات العربية الحسانية هو أخ لمسعود ولد رزق ، أو ابن له . وهذا ما يفسر اطلاق بني مزوك على أولاد رحمون ، ولهذا السبب نرى ايضا في تاريخ ولاته ، أن آسكيا الحاج أمير الصونغاي قد بعث بعصابات من مزوك والطوارق ، لطرد العرب الحسانيين عن ولاته (١٥٨٣) .

والمحافيظ يعود نسبهم حسب الرواية الى عرب برقة الليبيين (٢) . وجدهم محفوظ الذي يحملون اسمه ، كان عربياً قحاً

---

(١) والزبيرات ، هؤلاء يعرفون في الصحراء ، بعرب الزقيطة . إنظر الورقات المنقولة عن كتاب الشيخ سيدي المختار الكنتي من كتابه عن انساب عرب بني حسان (المعرب) .

(٢) جاء في الورقات المنقولة عن كتاب الشيخ سيدي المختار الكنتي المتوفى سنة ١٨١١ م ، عن الانساب العربية ، ما يلي : « أما المحافظة فهم من عرب برقة . اخوانهم بنو علي بن محفوظ » .

ولعل أولاد علي بن محفوظ هم اتحادية القبائل الكبرى ، المنتشرة على طرفي الحدود الليبية المصرية الآن . وينتمي لهم العديد من البطون العربية في ليبيا ومصر . ←

لحسان وله ثلاثة أبناء : أبو علي الذي هو جد فخذ المحافيظ ، وسكران جد السكارنة ، وعبد الله جد العوسيات ، وعدد من المخيمات المنصهرين في أولاد يحيى بن عثمان في أدرار التمر . وكما تقول الرواية ، فقد كانوا أمراء البرابيش عند وصولهم الى الصحراء وما نزال نجد المحافيظ والسكارنة في الواحات الصحراوية .

ولا بد هنا من الاشارة الى ان أولاد سليمان البربوشيين يعتبرون ابناء عم عشيرة أولاد سليمان الليبية الشهيرة . وكانت بينهم صلات عديدة ، من بينها لجوء عدد من البرابيش الى اولادسليمان الليبيين ابان الاحتلال الفرنسي لازواد وتينبكتو. وقد تكون الصلات بين ليبيا وتينبكتو ونواحيها تدعيما لهذه الاواصر . فنحن نعرف أن مقرا يعرف باسم الدار الاغدامسية (نسبة الى مدينة غدامس) كانت موجودة بتينبكتو ، والعكس قائم في غدامس بالنسبة للضيوف القادمين من تينبكتو . وكان العديد من تجار غدامس يذهبون بتجارتهم حتى موريتانيا الشرقية ، خاصة الحوض ومناطق الساحل الواقعة الآن ضمن الحدود المالية الشمالية .

وفضلا عن ذلك فان صلات القرابة بين القبائل العربية الموريتانية والقبائل العربية الليبية امر معروف وبديهي لدى الطرفين . وكان يتأكد عندما يمر الحجاج الشناقطة بليبيا ، أو تحل محنة ، خاصة ، محنة الاستعمار . وسنذكر هنا فقط بالشيخ محمد الأمين ولد زيني القلقمي ، الذي هاجر من الحوض سنة ١٩٠٨ ، على رأس مجموعة من ستمائة رجل معهم عائلاتهم ، بعد هزيمة الموريتانيين أمام الغزو الفرنسي . وعندما وصل الأرض الليبية استقر في فزان وخاصة بمدينة أوباري .

ولكن المقام لم يطل به هنالك حتى اشتعلت الحرب بين المواطنين الليبيين والمحتلين الايطاليين . وقد كانت مساهماته مع أصحابه فعالة . وبعد استيلاء ايطاليا على ليبيا ، انسحب مع مجموعته المقاتلة الى القوات التركية التي قاتل معها ضد الانجليز ، ابان الحرب العالمية الاولى . وقد سكن الرشيدية بالقرب من مدينة عمان ، حيث أقام زاوية كان لها دورها الكبير في اعادة نشر الاسلام وروحه ←

ورئيس أولاد عمران هو محمد ولد ابراهيم الذي خلف أوبة أحمد ولد حمادي الذي حج سنة ١٩٠٨ ، أما رئيس المحافيظ فهو المختار ولد البكاي .

وأولاد عمران ينتجعون في نواحي الميلح بينما تقع مراتع المحافيظ بين تينبكتو وغندام وعددهم أربعون خيمة (٤٠) .

ز ـ ح ـ اما الكوانين (والنسبة كناني) فهم فخذ مؤلف من البربر ومن العرب الشرفاء ينحدرون من الفخذ الذي يحمل الاسم نفسه في الحوض ، والجميع أصله من تاكونانت موريتانيا . ونلاحظ ان الكلمة واحدة ولكن احداها تستعمل بصيغة عربية : كوانين . بينما غلبت الصيغة البربرية على الأخرى : تاكونانت ، وعند النسبة نعود في الحالتين الى الصيغة العربية (كناني) .

بين قبائل شرق الأردن التي كانت مرتعا تلك الأيام للجهل وتبعاته . وما يزال عدد من ذراري أصحابه موجودين في المملكة الاردنية ، وهم الشناقطة ، ابناء الهجرة الاولى ، لأن الهجرة الثانية الى الاردن كانت مع وصول الملك عبد الله ، حيث رافقه الشيخ محمد الخضر ولد مايابى وعدد من اتباعه . وقد انتقل الشيخ محمد الامين ولد زيني الى أضنة مع القوات التركية ، وامتد به العمر الى حوالي ١٩٦٩ . وما يزال عدد من ذراري أولئك الشناقطة في قازان بالقرب من أضنة . من جهة ثانية علينا أن نشير أيضا الى ان العديد من قبائل ليبيا تنتمي الى اصول شنقيطية ، ومن الادلة على ذلك الحكايات الشفهية ، فضلا عن الاسماء الواحدة التي نعتقد أنها دليل قاطع ، رغم تشابه الاسماء العربية .

ومن تلك القبائل : أولاد موسى ، وأولاد علي ، وأولاد سليمان ، وأولاد بوسيف والعبيدات ، والصطيلات ، وأولاد يعقوب ، (العقاقبة) ، والجعافرة ، وأولاد الوافي ، والقواسم . (العرب)

وكما اسلفنا فاننا نجد في هذه المجموعة « الكنانية » أصلين مختلفين اتحدا تحت اسم واحد ، واتجها اتجاها واحدا ، وربطت بينهما صلات عديدة من الزواج . وأحد الفرعين بربري ينحدر من كونان ، بينما أصل الفرع الثاني عربي وينحدر من الشريف مولود، الذي جاء من المشرق ، وانضمت ذريته الى القبيلة .

وقد تشكلت النواة الاصلية للقبيلة باسم تاكونانت في القرون الوسطى بأعالي منطقة الترارزة [موريتانيا] ومنها انطلقت مجموعتان لتهاجرا الى المشرق : احداهما استقرت في حوض الساحل ، وهي فخذ الزوايا المستقل المعروف باسم الكوانين والمدروس في موضع آخر (١) . أما المجموعة الثانية فقد واصلت السير ابعد من ذلك ، واستقرت في منطقة تينبكتو بأزواد الجنوبي .

وبينما كان عدد الشرفاء أكثر في كوانين الساحل ، مما جعلهم يعتبرون قبيلة شرفاء ، كانت أغلبية كوانين تينبكتو مشكلة من ذراري الأصل البربري . وما يزالون يحتفظون ببقايا لغوية وعادات تؤكد الأصل البربري بوضوح (٢) وبقربهم من مخيمات

---

(١) على القارىء أن ينظر الى كتابي « القبائل الموريتانية في الساحل والحوض » . (المؤلف)

(٢) لا نعرف كيف يؤكد المؤلف وجود بقايا من لغة البربر القديمة لدى جزء من الناطقين باللهجة الحسانية دون آخرين . اذ أن اللهجة الحسانية التي يتكلم بها كل سكان بلاد شنقيط ، ونعني بهم العرب الذين يسكنون اليوم موريتانيا والصحراء الغربية ، وجنوب المغرب الى واد نون شمالا ، وجنوب الجزائر ، خاصة منطقة تيندوف ، ومنطقة أزواد المالية كلها ، وجزءا من أرض النيجر ، نقول ان هذه اللهجة واحدة . ولا يختلف الناطقون بها الا في أشياء بسيطة ، كاختلاف سكان ←

الطوارق ، وازناقة الذين يشكلون اليوم حلفاء للبرابيش ، غير أن خضوع هؤلاء وأولئك للقبائل المهاجرة من الشمال : الرحامنةوغيرهم من حسان ، قد جعل منهم اليوم عرباً حقيقيين . ومع الزمن شكل الجميع بالاضافة الى هجرات جديدة اتحادية كبيرة باسم البرابيش، غير ان الكوانين حافظوا على شخصيتهم المتميزة . والأفخاذ الذين هم من أصل عربي ، لا ينظرون اليهم كأبناء عمومة قريبين ، بل كمتحالفين معهم . وأقرب الناس اليهم هم أهل رحال ، ولم يذكر أحد أنهم قدموا يوما من الأيام غقرا أو مداراة لأحد . وقبل فترة قصيرة ، وفي بداية رئاسة سيدي أمحمد ولد أمهمد وباشرافه ، جددوا حلف الوحدة الذي يربطهممعالبرابيش ذوي الأصول العربية ويعني ذلك أن هذه الوحدة كانت ذات طابع وقتي .

وبعيدون توزيعهم الحالي بين بيض وسود إلى أنه كانت لجدهم امرأتان احداهما سوداء والثانية بيضاء ، وكان لكل منهما ذرية أصبحت تسمى بلونيهما ، مع أنه لا يوجد اليوم أثر للسواد بينهم .

ولاية عن أخرى في بعض المسميات . وهي كما يقول عنها المؤرخ الكبير المختار ولد حامد « أكثرها عربي ظاهر ، وأقلها محرف ، وفيها ألفاظ بربرية » . وعلينا هنا أن ننوه بفصاحة نطق هذا الشعب مما يقربه اكثر فأكثر من البدو الذين لم يتأثروا بالغزو الثقافي الأجنبي في انحاء العالم العربي . ولم تبق في موريتانيا اليوم الى جانب العربية (الحسانية) سوى لهجة أزناقة (صنهاجة) ، ويقول عنها أيضا المؤرخ ولد حامدن :

« وهي تقرب من اللهجة الشلحية المستعملة في بلاد السوس من جنوب المغرب ، وكانت اللسان الوحيد فيها قبل دخول بني حسان ، ولا يتكلم بها اليوم الا نحو عشرة آلاف نسمة كلهم في دائرة الترارزة » . (المعرب) .

وبسبب خلافات جرت بينهم ، تفرق الحيان الى مناطق مختلفة ، غير أنهما ظلا موحدين عن طريق التحالف .

ويعتبر فخذ أهل دخنان في الكوانين من الشرفاء . ويعتبر علي ولد عابدين رجل دين الكوانين البارز . وهو مولود حوالي ١٨٧٨ . وينتجع في شمال اغنسي ونشاطه الرئيسي هو تجارة الماشية والنيلة لدى طوارق غورمه . وعلاقاته جيدة مع عديني رئيس ميد داغان ، والبكاوي رئيس ارغناتن .

وفي سنة ١٩١٦ ، بعث برسالة الى اعديني يحثه فيها على البقاء في سلام [مع الفرنسيين] ، ومؤكدا له ـ أن قوة الفرنسيين ـ ما تزال كما كانت عليه عكسا لما كان يقال له . ويتمتع علي ولد عابدين ببعض النفوذ الذي يستغله لصالحه .

وأهم رؤساء أحياء الكوانين هم :

ـ أحمد ولد هيمة رئيس فخذ	٢٣ خيمة
ـ محمدا ولد افيري رئيس فخذ	١١ خيمة
ـ احميدي ولد بو بكر رئيس فخذ	١٩ خيمة
ـ الشيخ ولد بيوب رئيس فخذ	٤١ خيمة
ـ عابدين ولد بو بكر رئيس فخذ	٦ خيام
ـ بادي ولد دحمان رئيس فخذ	٧ خيام
ـ اعلاده ولد احمد رئيس فخذ	٢٤ خيمة
ـ عثمان ولد سيدي علي رئيس فخذ	٤٧ خيمة
ـ الناجم ولد محمد عزيزة رئيس فخذ	٣ خيام

ويعيش مع الكوانين عدد من أولاد سليمان .

ورؤساء هذه المخيمات هم :

ـ شيحة ولد حمادي	١٨ خيمة
ـ همو ولد مرزوق	٧ خيام
ـ عمر ولد عبد الله	١٥ خيمة
ـ جد أهله ولد احمد يده	٤١ خيمة
ـ بن زيد ولد محمد ابراهيم	٢٠ خيمة
ـ عمر ولد سيدي علي	٥ خيام
ـ علي ولد أحمد ولد حمادي	٢٠ خيمة

وهم ينتجعون على ضفاف نهر النيجر ونواحي تنغ الحي .

ط ـ أما ركان : فهم من أصول مختلفة ، فالبعض منهم أصله من أروان وهم من ابناء عمومة زاوية ركان التابعة لمقاطعة أتوات [الجزائر] . وينحدر الباقون مثل ياداس من الأنصار ، وكان جدهم ياداس يسكن تيشيت . ثم غادرها الى ولاته ، ومنها استقر في أولاد محمد بالحوض ، بعد أن تزوج منهم . وانتقل عدد من أحفاده الى البرابيش . وبعد أن أصبحوا جزءا من هذه القبيلة خلال القرن التاسع عشر ، طلبوا الانفصال عنهم ولكنهم جوبهوا برفض الفرنسيين ورئيسهم هو جد أهله ولد احمد ديدا . ويرأس ياداس محمد باني ولد احمد . ويسكن عدد من ركان ومنهم رئيسهم ، مع الكوانين عادة .

وهم ينتجعون عادة في منطقة تمتد من تينيكتو الى بنبا ، بين النهر وأوديات النهار ، وعددهم سبعون خيمة .

ي ـ اما السكاكنة فقد جاءوا من الجنوب الغربي ، وكانوا تابعين للأغلال . وبالتحديد فهم من الجعافرة ، أولاد رزق الحسانيين المنضمين الى الأغلال . وقد انقسموا الى قسمين أحدهم التحق بالبرابيش ، والآخر بكنتة . والموجودون منهم في البرابيش هم أتباع لأهل رحال . ويدفعون كل سنة ناقة مغرم لمن يكون له طبل القيادة في عائلة أهل رحال .

ومنذ قرنين هاجرت ثلاث خيام من السكاكنة الى الشمال ، وسكنوا بلدة القبلي في الواحات الصحراوية . وهم اليوم يشكلون فخذا من ثلاثين خيمة ينتجع بين القبلي وأهنت . ويحافظ السكاكنة الشماليون ، على صلاتهم بأخوتهم الجنوبيين ، مما جعل بينهم تعاونا في مجال ارشاد القوافل المتنقلة بين النهر والشمال .

وسكاكنة البرابيش ، يقودهم أبو بكر ولد عمر ولد الناجم ، وهم بداة حقيقيون ، ويجوبون ازواد كله ، خاصة منطقة تاكونات ويؤلفون خمسة وأربعين خيمة .

وتسكن أروان ـ الذي يبعد مائتين وخمسين كيلو مترا عبر طريق صحراوية ، يتنقل فيها البرابيش ـ عدة عائلات مرتبطة بهذه القبيلة عن طريق القرابة أو التبعية . واسم أروان البربري مشتق من كثرة ارشية الدلاء المستخدمة في نقل المياه من آباره الكثيرة وهذا الاسم قديم جدا .

وينبئنا ليون الأفريقي بوجوده بأروان في القرن السادس عشر . وهذا الرحالة الذي يصف تينبكتو عام ١٥٠٧ كما مر بنا من قبل يقول عند مروره بمدينة أروان ، انها كانت محل تموين القبائل البربرية السابقة لتكوين البرابيش .

وقد ازدهرت أروان جيدا ابان وصول أجداد البرابيش الحاليين . وتقول الرواية العربية او المعربة هذه المرة ، إن المدينة قد أنشئت في القرن السادس عشر قبل وصول القوات المغربية بقيادة الباشا جودير (١٥٩١) بعدة سنوات وذلك من قبل رجل الدين الشهير أحمد آغآدّ . ولكن علينا أن لا ننسى ان المحل كان معروفا ودبت فيه الحياة قبل ذلك. فآبار أروان ذات الأهمية الكبيرة كانت مصدر المياه لبداة المنطقة . وينبئنا تاريخ السودان ، زيادة على ذلك ، أن طوارق مغشارن ــ الذين كانوا في القرون الوسطى سادة المنطقة السياسيين ــ « كانوا يتنقلون في فصل الصيف الى ضفاف النهر » ، حيث أنشأوا مدينة تينبكتو ، « وفي الخريف يتجهون الى أروان للبقاء فيها ، وكانت تلك حدودهم القصوى في أعالي المنطقة » .

ومن ذلك الوقت ولدت قرية في أروان حول آباره . ويمكننا الاعتماد في هذا القول على برهانيين : أولهما رحلة أحمد الصقلي التي يذكرها تاريخ الفتاش . فعندما كان في طريقه من المشرق الى تينبكتو ، خلال الربع الأخير من القرن الخامس عشر حل هذا الشريف بأروان « التي كان يتولى امامتها ، علي بن حميد بينما يتولى القضاء عبد الوهاب بن عبد الله » . وأعطاه هذان السيدان ألفا وخمسمائة مثقال من الذهب للاستعانة بها على اتمام رحلته .

واذا كان هذا الخبر [العطاء] ــ كما يبدو ــ عاريا عن الصحة، يمكننا على الأقل التأكد من ذلك التاريخ (١٤٨٠) من وجود قرية أروان التي كانت أهميتها تقتضي وجود قاض وامام .

ومن ناحية أخرى ، ما نزال نجد حتى اليوم ، لهجة يتحدث بها سكان أروان وبو جبيهة ، أصلها لغة الصونغاي ، ولكن اللغة العربية غلبت عليها . ومن هنا يمكننا التأكد أن القرية قد انشئت في هذا التاريخ (القرن الخامس عشر) ، ابان ازدهار امبراطورية اسكيا ، وكان أول من سكنها اناس من صنغاي .

وفي حوالي (١٥٧٥) اذن ، استقر بها رجل صالح من كل السوق وهو أحمد آغ ادّ ، وذلك بعد خراب مدينة السوق نهائيا وبعد أن تنقل بين اتوات وفاغبين .

وينبئنا تاريخ السودان أن القوات الشريفية بقيادة الباشا جودير ، لم تمر بأروان نفسها بل مرت شرقها (١٥٩١) ولكنها لم تتردد في الاستيلاء على الجمال التي كانت ضرورية لنقلها . وتكمل الرواية الشفهية ، رواية كتاب التاريخ ، حيث تضيف أن جودير اعتقل احمد آغ ادّ . في بلدة تليك ثم أطلق سراحه .

وبعد أن بنى أحمد آغ آدّ ، دارا ثم قلده الآخرون ، بنى المسجد الذي ما يزال الى اليوم يحمل اسمه . وخلال سنوات ، قامت حاضرة بفضل هذا الناسك . وتقول احدى حكايات كلنصر أن أجدادهم ساهموا في تعمير القصر ويعنون بذلك أروان الثاني . وهي الوحيدة من الحكايات التي تتردد عن هذا الموضوع .

وبعد ذلك استقبل الناسك أحمد آغآدّ ضيفاً جديداً هو ابو مخلوف قائد الهجرة الثانية للرحامنة ، الذي جذبه جو التعليم والعبادة . وذلك في بداية القرن السابع عشر .

وقد توفي أحمد المذكور بين (١٦١٥ ــ ١٦٢٠) ودفن بالمدينة، وما يزال قبره يزار الى اليوم .

وقد ارتبطت أروان ، الواقعة على الطريق الكبرى لقوافل الشمال ، بالعديد من أحداث منطقة العقفة ، نظرا لموقعها الجغرافي. فقد مر بها سنة ١٦٣١ الباشا علي بن عبد القادر ، متجها الى الحج برغم المعارضة الجماعية لذلك الحج ومنها أرسل الأوامر الى تينبكتو لقتل القائد عبد الله بن عبد الرحمن الهندي . وقد عاد اليها الباشا أسابيع قليلة بعد ذلك ، ولكن كلاجيء هذه المرة ، بعد أن اعتدى عليه الشيخ الفلالي والد عيسى البربوشي ، بالقرب من اتوات .

وخلال السنوات التالية شهدت زيارة عدد من « الكاهيات»(١) على رأس سرايا من الرماة للقيام بمهام رسمية ، أو للاقامة . اذ كان من أولى المهام أن تحافظ تجارة تينبكتو على آبار أروان التي تضمن أيضا طرق المواصلات مع المغرب .

وفي سنة ١٧١٣ ، اختير عبد الله بن الحاج بن سعيد العمراني للمرة الثانية باشا لتينبكتو ، وهذا الزعيم الذي يوحي اسمه بأنه بربوشي ، استقبل الوافي بن طالبنا حفيد أحمد آغ آدّ وعينه قاضيا لمدينة أروان .

وقد مر بنا فيما قبل كيف فشل هذا القاضي في حل النزاعات التي قامت بين أفخاذ البرابيش .

وابان حكم الباشا منصور بن مسعود وذلك بين ١٧١٦ــ١٧١٩ عمت الفوضى منطقة تينبكتو كلها . ووصلت تلك الفوضى حتى أروان ، كما تقول التذكرة . « وقد اضطر كاهية أروان يوما لتسليم

---

(١) هذا الجمع اوردناه كما جاء في النص الفرنسي ، وهو جمع لكاهية وهو نائب الحاكم أو نائب الأمير . (المعرب)

كل شيء الى الخدم السود ، حتى علب السمك اليابس والتي كانت تقدم هدية الى رئيس الامراء ، وليس الى الباشا نفسه أبدا ، وذلك اتقاء شرهم » .

وكانت قسوة هذا الباشا من الشدة بحيث دفعت شرفاء تينبكتو الى الثورة عليه . وبمساعدة نجدات أرسلها اليهم اخوانهم في أروان ، وتافيلالت ، وتواطؤ الجزء المتمرد من الحامية ، تمكنوا من ارغام الباشا على التخلي عن قيادته (أكتوبر ١٧١٩) .

وتحت قيادة الباشا أحمد بن ألفا منصور (١٧٣٨)، اجتاحت البلاد مجاعة شديدة « وقد بلغت أوجها في أروان ـ تقول التذكرة ـ حيث مات العديد من الناس من النساء والضعفاء بسبب الجوع ، وخلالها رأى الناس حدثا لم يشهدوه من قبل ولم يسمعوا به ، وهو بقاء الذهب مرتفع الثمن ، في الوقت الذي أصبح الحصول على الحبوب من النوادر . اذ من العادة في هذه الحالة ، انخفاض قيمة الذهب » .

وفي أغشت ١٧٤٢ مات في أروان شيخ ، وزميل مؤلف كتاب التذكرة ، العالم بابا بكاري سبيو ، نجل محمدو چم ، قاضي ماسنة، أو ماسينا . وليس هناك ما ينبئنا عن سبب وجوده في أروان .

ويفيدنا كتاب فتح الشكور ، أن قاضي أروان طالبنا ، الملقب سنمبيرو الكبير قد توفى بأروان سنة ١٧٦٥ ، وهو حفيد القاضي الوافي سالف الذكر . ويعطيه الكتاب أوصافا طنانة مثل « العالم العلامة ، البحر الفهامة الفقيه النحوي » . ويضيف « وحكي أنه ذات مرة كان جالسا في بيت كتبه بنظر فيها، اذ جاءته اخت زوجته، وقالت له : زوجتك نفساء ، اخرج وأننا بشيء من الزرع نعمل لها

الحساء ، فلم يخرج، وعادت اليه فلم يخرج، فقالت له : ان الحساء لا يصنع من الكتب . فخرج الى باب الدار ، ومر عليه بربوشي ، فأتاه بنحو عشرين مثقالا ، فدفعها لأخت زوجته وقال لها : دونك وهذا الذهب ، واصنعي لزوجتي منه الحساء . وأما الكتب فلا يصنع منها الحساء » . وقد أطلق الله النور ليلة وفاته حتى دفن ، ثم عادت الظلمة كما كانت .

ومن الجلي أن الرحالة غوردن لينغ لم ير أروان سنة ١٨٢٦ . فقد أصيب بجروح شمالها ، ثم توجه الى [الشيخ] سيدي محمد ولد [الشيخ] سيدي المختار الكبير الكنتي ، الذي أرسله الى تينبكتو بعد شفائه .

وزارها ريني كايي بسنتين بعد ذلك (١٨٢٨) . ولم يتمكن بارث من زيارتها ، لأنه أرغم في تينبكتو على العودة من حيث أتى دون أن يقطع الصحراء ويرى أروان ، وذلك سنة ١٨٥٤ . وأخيرا مر بها لينز سنة ١٨٨٠ .

ويتألف الأفخاذ الذين يسكنون أروان — والمعروفون بأهل أو كل أروان — من : أولاد سيدي أحمد بن صالح ، أولاد أحمد بن عيد العمريين ، ويشكلون سكان القصر . وأهل حيسه ، وأولاده بو هنده ، والنواجي ، والوسرة ، وتجكانت الذين بدأوا يصلون بتزايد منذ القرن التاسع عشر .

وكانت الحرب تشتعل دائما بين الفخذين الأولين الذين يعتبران من أقدم السكان . وفي بداية القرن التاسع عشر بلغت حدة الصراع درجة، طرد فيها أولاد سيدي أحمد، أولاد احمد بن عيد من المدينة ومراعيها . وتمكن الشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي بصعوبة ، من اعادة الوئام بينهما .

وينتمي أفراد الوسرة بأروان ، الى القبيلة التي تحمل الاسم نفسه وتنتجع في العكلة بين أروان وفاكيبين ، والتابعة اليوم الدائرة غوندام . وقد استقر الوسرة في أروان منذ عدة عصور .

أما تجكانت فقد جاءوا من تيندوف ، ومن الحوض ، وقد جذبتهم التجارة الى هذا المركز الهام لمرور القوافل (١) .

وموقع أروان يعرض سكانه دائما للغزوات اكثر من سكان بوادي ازواد ، وبفضل اجراءات الحماية أصبحت مواشي البداة في مأمن من الغزوات ، بينما قطعان أهل أروان على نقيض ذلك .

ومن أكبر الخسائر التي لحقت به من جراء الغزوات ، تلك التي قام بها أولاد بسبع في فبراير سنة ١٩١١ ، حيث فقد السكان (أفخاذ المدينة والوسرة) معظم قطعانهم .

وفي صيف ١٩١١ ، قامت عصابة من الركبات بقيادة عمر ولد البشير بالاقامة في بئر اومن وقطعت الطريق بين أروان وتينبكتو لمدة شهر . وقد سقطت في الفخ الذي نصبوه عدة قوافل ، كانت متجهة لنقل الملح أو عائدة منه . واحتفظوا بهم أسرى حتى ١٥ أغشت ، ثم اطلقوا سراحهم مع جمال هزيلة . بينما احتفظ النهابون بتسعين رأسا من الابل .

ويعيش أروان اليوم في عصر انحطاط ، بعد انقطاع سير القوافل بين طرفي الصحراء . ولكنه يظل موقعا هاما لراحة قوافل الملح المتجهة من والى تاودني ، وقوافل جنوب المغرب .

---

(١) ينحدر تجكانت بأزواد من أفخاذ أولاد موساني والرماظين وأدروات تيندوف (المغرب)

ويقدر عدد السكان عند وصولنا بسبعمائة نسمة باستثناء الخدم ولا يتجاوزون اليوم الخمسمائة . ويبلغ عدد المنازل ما بين ١٨٠ و ٢٠٠ . ولا يوجد حائط حول المدينة المعرضة لغزو الرمال مثل تينبكتو .

وما يزال في اروان عدد من العلماء ذائعي الصيت ، خاصة ضمن أهل حبيب الذين يعلّمون طلبهم بالاضافة الى نص القرآن ، العلوم الاسلامية .

ورئيس المدينة هو عروة الذي قرأنا سيرة حياته من قبل ، وقد احتلت أروان قواتنا مؤقتا عدة مرات ، عندما كانت ضرورات الأمن تتطلب ذلك (١) .

ل ــ وبوجبيهة الذي هو مستعمرة لأروان ، يقع على مسافة ١٨٠ كيلو مترا من تينبكتو ، حيث يقع الى الشرق قريبا من الطريق الفاصلة بين هذه المدينة وأروان . ولا تتردد بعض القوافل في اطالة الطريق قليلا لتتمكن من المرور به .

وتقول الروايات المحلية أن القرية أنشئت في عهد محمد بن رحال رئيس البرابيش وباذن منه ، وذلك حوالي منتصف القرن الثامن عشر . وكان السكان الاوائل من كل السوق ، وكل أروان . وقد جاءوا بقيادة الطالب سيدي احمد الذي كان تلميذا لأحفاد سيدي احمد آغآدّ بأروان ، وقد استاء اشياخه من زواجه بفتاة بربوشية ، مما دفعه الى مغادرة أروان مع أصحابه وتلامذته .

---

(١) نسي المؤلف من سكان اروان الطرشان وهم من ابناء عمومة القبيلة التي تحمل هذا الاسم والموجودة في آدرار موريتانيا وهم عرب من بني حسان . (المعرب)

وقد استقروا على بعد ١٠٠ كيلو متر جنوب شرق أروان ، عند بئر لا اسم له آنذاك . وتقديرا القادم الجديد الذي كان ذا جبهة عريضة نسب اليه البئر حيث أصبح بئر أبي جبهة .

والقرية التي ضمت يوما من الأيام مائة دار سكنية من الطين، ومسجدا صغيرا ، هي الآن في بداية الخراب . وسكانها الذين هم خليط من كل السوق ، وأهل أروان ، والبرابيش ، والحراطين ، والخدم لا يتجاوزون خمسين شخصا يسكنون من ١٥ الى ٢٠ منزلا لم يصبها بعد الخراب .

وبوجبيهة الذي كان مكانا للتبادل التجاري ، خاصة الملح ، والحبوب ، والاقمشة القطنية ، هو اليوم مجرد مخزن صغير ، وتحتضر فيه آخر المبادلات التجارية .

ولكنه لن يندثر نهائيا بدون ريب ، نظرا لتعدد وغزارة مياه آباره .

ويرأس قريته الآن محمد ولد عبد الله السوقي .

ولا يمكننا اختتام الحديث عن البرابيش دون التعريج على تاودني التي هي تحت سيطرتهم الكاملة .

ونشأة تاودني كانت نتيجة لمحاولات السيطرة المغربية على المنطقة . فحتى نهاية القرن السادس عشر ، كانت تغازة هي معدن الملح الذي يستعمله سكان السودان .

وينبئنا تاريخ السودان ، انه أيام حكم اسكيا اسحق ، كان مولاي أحمد الكبير سلطان المغرب ، يشتهي السيطرة على تغازة . وأدى الامر الذي أرسله الى اسكيا لتسليمه اياها الى انتقام اسكيا منه وسلب أتباعه ، بشكل مستمر في منطقة الدارات .

وكان خليفته مولاي أحمد الذهبي أكثر حنكة من سلفه عندما تمكن من اقناع اسكيا داوود ، باستغلال معدن ملح تغازه مدة سنة مقابل تقديم هدية الى حاكم السودان (حوالي ١٨٧٨) (١) .

واستخدم وجوده في هذا المكان الحيوي للحصول على المعلومات الأولى الضرورية للحملة التي كان يعدها الغزو لتينبكتو ، والتي تحققت بعد فشل محاولتين أو ثلاث .

وفي سنة ١٥٨٥ احتل المغاربة تغازة ، مما جعل سلطة تينبكتو الصونغية ، تمنع سفر القوافل اليها . وبدأ البحث عندئذ عن معادن بديلة . فتم العثور عليها في تاودني ، على بعد مسيرة يومين جنوب تغازة . واستقر الناس فيها ابتداء من ذلك التاريخ .

وتقع تاودني في قلب منطقة من أكثر مناطق الأرض رعبا لوحشتها . فلا توجد على مسافة ١٥٠ كيلو مترا من جهاتها الاربع أية مراعي أو أشجار . ولا يوجد ماء في المنطقة المحيطة بها الا آبار تاودني نفسها ، رغم غزارتها فماؤها سيء الغاية .

وليس من وقود للنار الا بعر الابل اليابس الذي تخلفه جمال القوافل القادمة لنقل الملح . فهو الوقود الوحيد للتدفئة والطبخ . وتاودني عبارة عن منخفض لا يرتفع الا خمسين مترا عن سطح البحر ، مما يجعلها أكثر بقاع كرة الأرض حرارة . ولا يمكن ابدا تحمل طقسها خلال تسعة أشهر من السنة .

ويتألف قصرها من عشرين مسكنا . أما عمال معادن الملح فيسكنون في منطقة المقالع نفسها : في الغرارة وغيرها على بعد ٣ أو

---

(١) ان التاريخ هو ١٥٧٨ . (المعرب)

٤ كيلو مترات من القرية . وهم يحتمون في مساكن من قوالب الملح نفسه ، طبقا لعادات ذكرها هيرودوت منذ ثلاثين قرنا .

وحياة ملاك المعادن خاضعة تماما لرحمة البرابيش وغيرهم من ناقلي الملح ، فهؤلاء يعقدون اتفاقيات لنقل الملح الى مدن النهر ، مثل تينبكتو وغرغو وبنبا ويتقاضون عن ذلك أجرة عين هي عبارة عن خمسة قوالب ملح ، من كل ستة ينقلونها ، وأحيانا ١٣ قالب من كل ١٤ ينقلونها . وهكذا لا يبقى للمالك الا القليل وتبريرا لهذا الوضع لا يختلف اثنان في جسامة المخاطر التي يتحملها أصحاب القوافل من جراء الغزوات التي يتعرضون لها سنويا . وعلى كل فالحالة الاقتصادية العامة لا تتأثر ، فالمهم ان يصل الملح الى السوق ولا يعنينا من هو الموصل أهو المالك أو الناقل . غير أن تاودني تتأثر سلبيا بهذا الوضع ، فثمن الملح العائد الى أهل القرية قماشا وحبوبا ، لا يسمن ولا يغني من جوع .

وإذا قطعنا من الربح نصيب المالك الذي لا يسكن عادة في المقالع ، لا يبقى أي شيء للعامل . والقليل من الطعام الضروري لاستمرار الحياة في شرايين عمال تاودني ، هو ذلك الذي تحمله قوافل البرابيش عند وصولها .

أما اللحم الطازج أو المجفف ، فهو تقريباً لا يوجد . وذلك مما لا يمكن تعويضه إلا بصعوبة . أما ذبح الحيوانات فهو مستحيل لأن أعلاف تلك المواشي لا يمكن توفيرها في المنطقة . ولكن لحم البقر والزراف والإبل المقدد ، يصل بصورة دائمة إلى القرية . وباختصار فإن سكان تاودني هم دائماً على شفى الموت من جراء الجوع . ولا يمكن شراء الأطعمة المتوفرة بسبب غلائها . ويموت الناس بأمراض الجوع المختلفة كل سنة . وخلال السنوات التي تتوقف القوافل بسبب أوضاع الأمن ، لا يتم انقاذ سكان تاودني إلا وهم في آخر رمق .

وهذا تلخيص للأسعار في سوق تاودني في الظروف العادية :

٥ فرنكات تساوي : ٤ الى ٦ قوالب من الملح .

خمسة عشر مترا من النيلة : ٤ الى ٦ قوالب من الملح .

مد الأرز البالغ ٣ كيلو جرامات : ٢ قالبان من الملح .

كيلو السكر : ١٠ قوالب من الملح .

ليتران من الدهن : من ٤ الى ٨ قوالب من الملح .

شاة الضأن : ٨ قوالب من الملح.

حمار : من ٣٠ الى ٣٢ قالب من الملح .

لحم ثور كامل مجفف ، أو قدره من لحم الزراف : ١٢ قالب ملح .

والحل الأمثل الأكيد هو أن يقوم مالكو المعادن أو عمالها بنقل الملح أو جزء منه على الأقل بأنفسهم . وبذلك يضمنون تموين عمالهم ، بصورة كافية ، ولكنهم ويا الاسف، لا يملكون الجمال ، وحياة البادية ليست من اهتماماتهم .

وينتج عن هذا الوضع ، الذي يعامل فيه العمال بسوء ، رفضهم البقاء بتاودني الا تحت الضغط . ومنه كونهم من الخدم .

واذا ما طبقنا قوانيننا الخاصة بالحرية الشخصية، فسيؤدي ذلك الى اخلاء القرية من كل سكانها . كما سيؤدي الى انهاء تجارة الملح التي هي أهم موارد التبادل التجاري في منطقة العقفة ، اضافة الى ضرورة استعمالها من قبل السكان سواء من البيض أو من السود .

ويبلغ عدد أهل تاودني حسب الفصول ، ما بين ١٢٥ و ٢٠٠ نسمة . وهم يتكاثرون قبل وصول القوافل ، ويتناقصون بعد سفرها .

وهذا احصاء لهم اجريناه في نهاية شهر دجنمبر من سنة ١٩١٢ ، قبل وصول القوافل :

الرجال ـ ١٠٣ منهم ٦٥ من عمال المناجم .

النساء ـ ٣٩

الأطفال ـ ٩

البنات ـ ١٩

الجميع = ١٧٠

وبعد مغادرة أزلاي كانوا :

الرجال ٧٠ ، منهم ٥٠ من عمال المناجم

النساء ٣٧

الأطفال ٨

البنات ١٩

الجميع ١٣٤

ومن المعلومات الأخرى أن العامل يقطع ثلاثة قوالب خلال يومين . وهناك قافلتان في السنة ، احداهما شتوية ترد في شهري دجنمبر ويناير ، والثانية صيفية وترد في شهري ميه ويونيه ، ويقدر معدل حمولة كل قافلة بـ ٣٠٠٠٠ قالب ملح .

وقد احتلت تاودني في سنتي ١٩١٢ ــ ١٩١٣ من قبل سرية من قواتنا بقيادة ضابط صف . ولكن تلك السرية سحبت بعد المعاناة المادية والمعنوية التي كانت صعبة التحمل ، والتي أدت الى الحاق بؤس شديد بأفرادها وتزورها دائما قوات المهاري التابعة لنا كما يزورها حاكم تينبكتو خاصة ابان ورود القوافل التي تكون في اغلب الاحيان خاضعة لحمايتهم .

ومنذ الاحتلال الفرنسي استؤنف استغلال معادن ملح التيفدست وانتكون .

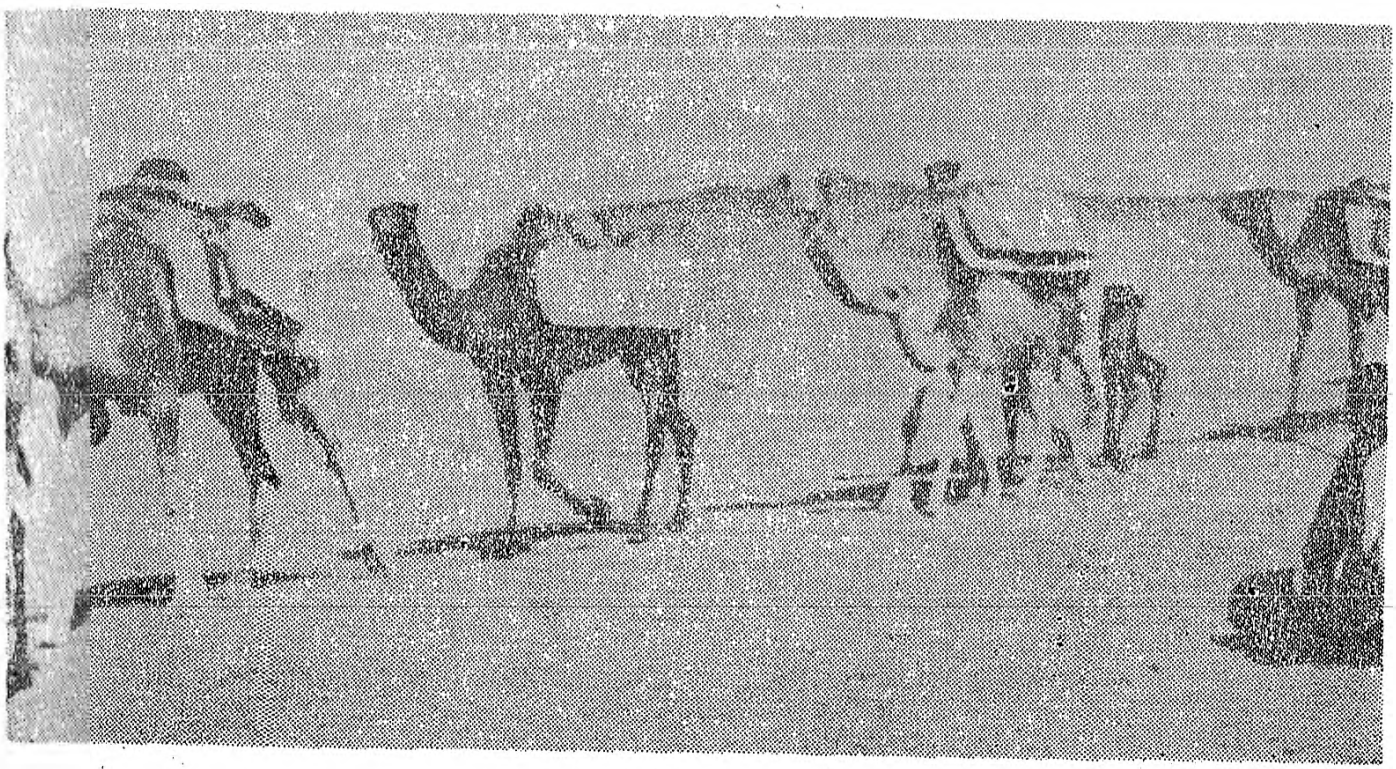

مقطر الملح (قافلة الملح سنة ١٩٣٠)

ملحق رقم (١)

شجرة نسب بني حسان

يتفق أكثرية النسّابة الصحراويين ، على أن عرب بني حسان هم من أحفاد عقيل بن جعفر (الطيار) شهيد مؤتة ، بن ابي طالب، عم الرسول ﷺ .

وحسان الذي ينتمون اليه كان قومه المعقل ، ضمن الهجرة العربية الكبرى التي وصلت الى المغرب العربي في القرن الحادي عشر الميلادي ، والمعروفة بهجرة بني هلال .

وقد وصلت طلائعها في القرن الرابع عشر الميلادي الى بلاد شنقيط ، وواصلت الاتجاه جنوبا حتى نهر صنهاجة (سنغال) وتخوم أرض السودان ، واستقرت نهائيا بعد ذلك .

وفيما يلي شجرة سلالتهم :

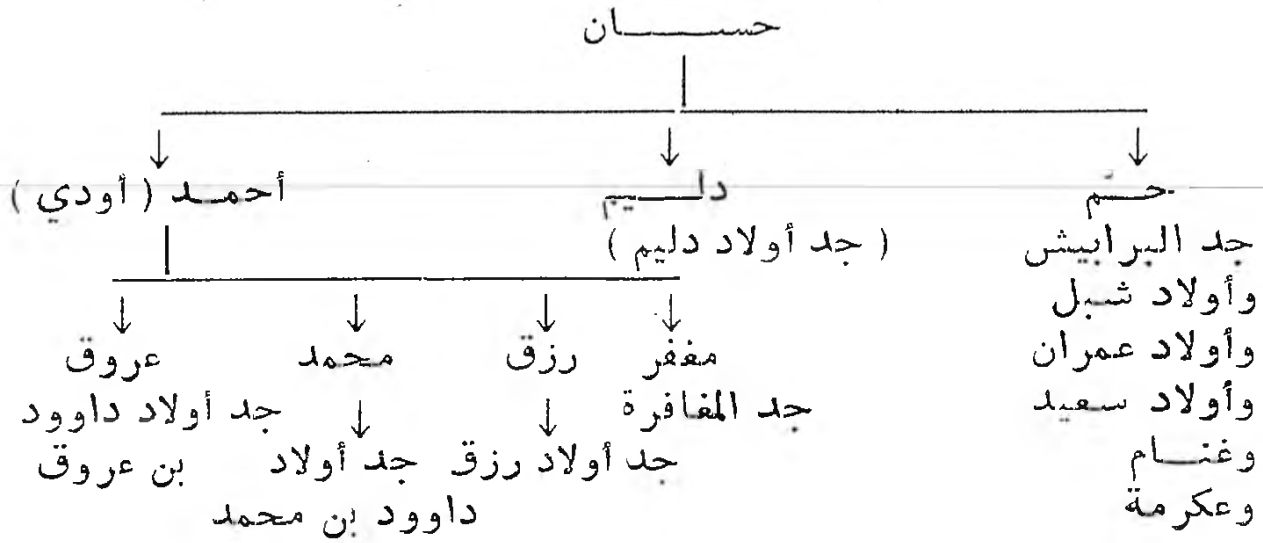

الملحق رقم (٢) ــ خريطة سكان منطقة تينبكتو سنة ١٩٢٠

ويلاحظ أن ذلك كان قبلُ فصل المنطقة عن الحوض الذي هو جزء من موريتانيا . وقد بقيت باسكتو داخل الأراضي الموريتانية ، بينما كانت انيورو وسوكولو من نصيب مالي . واذن فمشطوف وعلوش هم الآن في الأراضي الموريتانية .

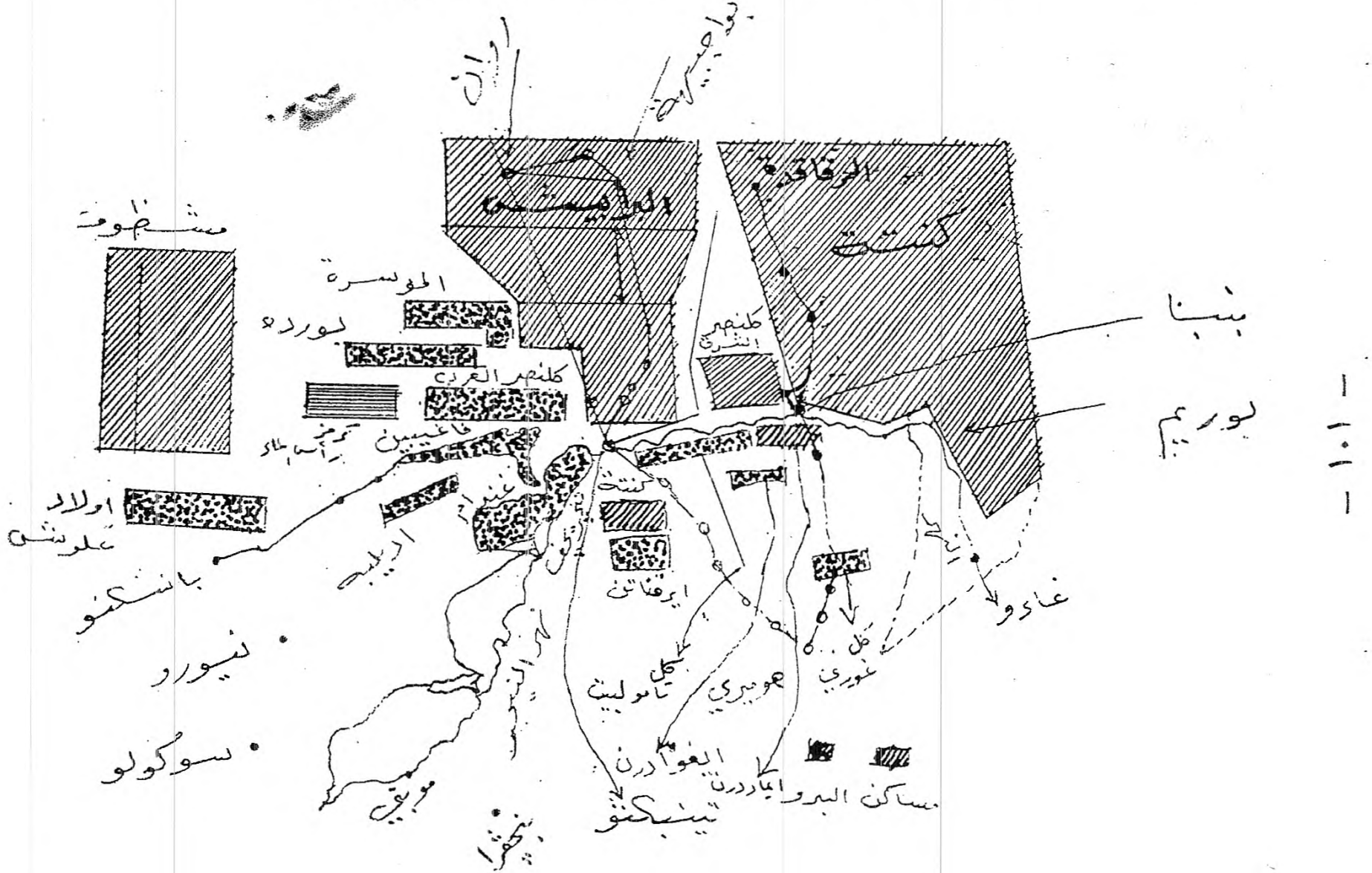

طريق الهجرة .
مناطق تواجد البرابيش .

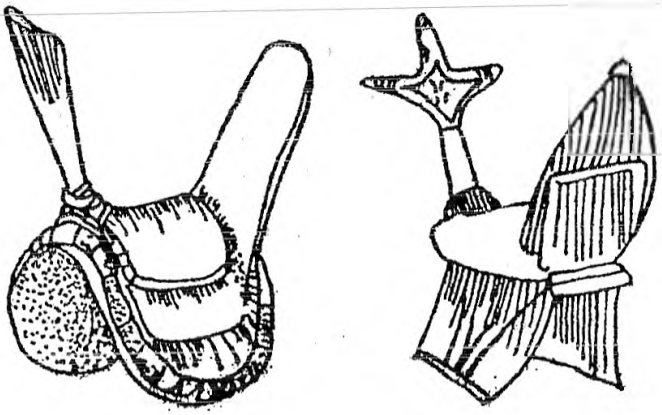

رحلان يستعملان في ازواد

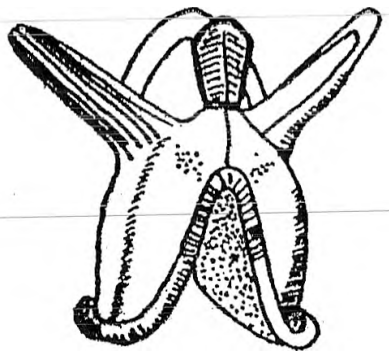

الرحل المستعمل في موريتانيا

صدرت عدة دراسات عربية عن الشيخ سيدي المختار الكبير، وعن المنطقة التي عاش فيها ، وأهمها :

١ ـ كتاب « كنتة الشرقيون » ، للمستشرق الفرنسي بول مارتي ، وترجمة محمد محمود ولد ودادي : وهو دراسة دقيقة تناولت بشكل عام تاريخ المنطقة وكنتة بصورة خاصة ، مع التركيز على عصر الشيخ الكبير وابنائه ونفوذه الروحي والزمني . وكذلك أحتلال فرنسا للمنطقة .

٢ ـ كما صدر كتاب « نفح الطيب في الصلاة على النبي الحبيب » للشيخ الكبير ، أشرف على طبعه محمد محمود ولد ودادي .

٣ ـ كتاب « فتح الودود لشرح المقصود والممدود » لمحمد بن مالك ، وهو كتاب ضخم للشيخ الكبير ، حققه الأستاذ مأمون محمد أحمد . ويعتبر من افضل كتب الشيخ الكبير لما احتوى عليه ليس في مجاله فحسب بل وفي الأدب والتاريخ وعلوم الدين .

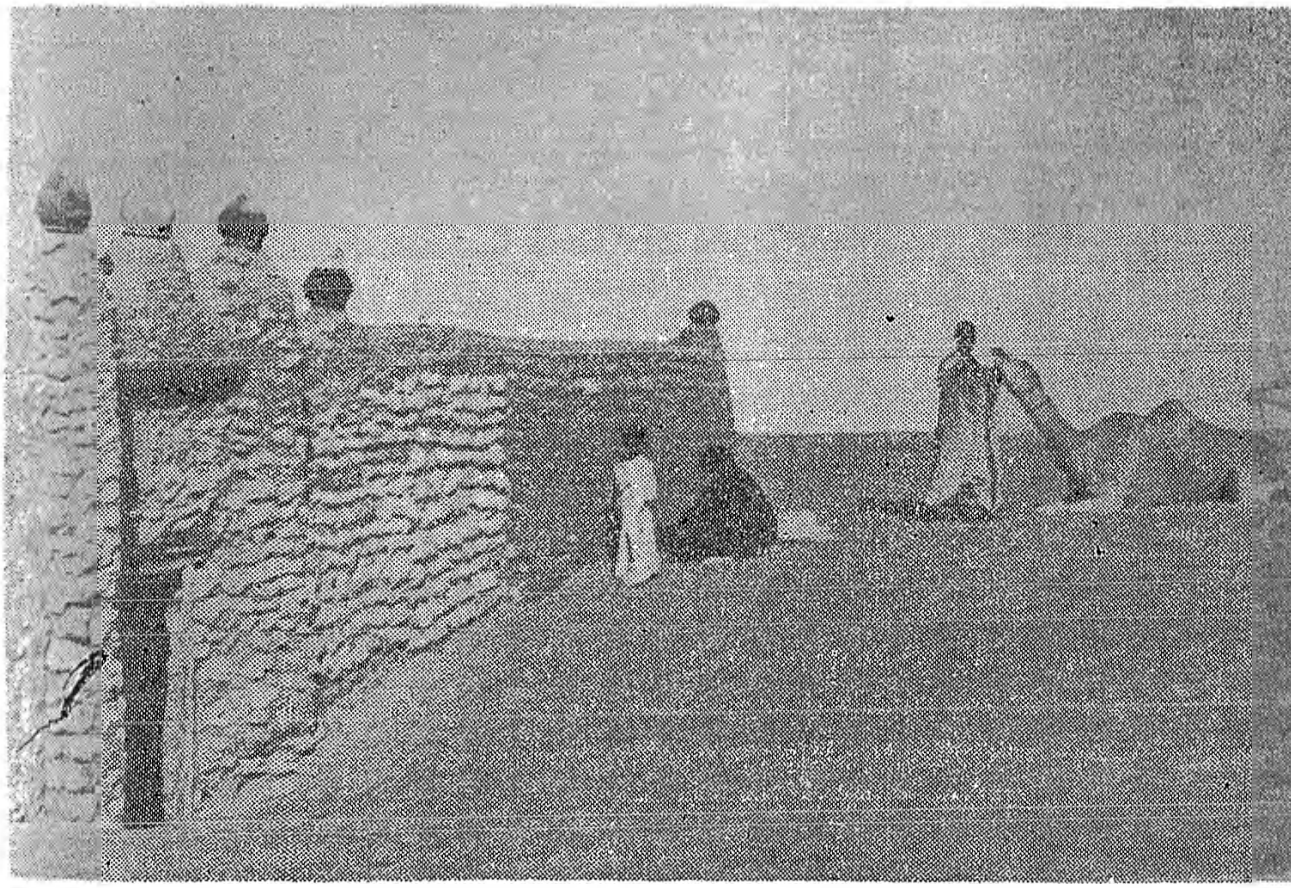

منزل في أروان سنة ١٩٣٥

لائحة بكتب الشيخ سيدي المختار الكبير وأنجاله ، نقلناها عن كتاب « كنتة الشرقيون » .

١ ــ هداية الطلاب : (مختصر فقهي على المذهب المالكي) مجلد واحد .

٢ ــ فتح الوهاب على هداية الطلاب : شرح الكتاب الاول ، من أربعة أجزاء ضخمة .

٣ ــ فقها الأعيان .

٤ ــ الرشاد « على الفقه » .

٥ ــ كتاب المنة في اعتقاد أهل السنة وهو المسمى ايضا الارشاد في الهداية وحسن الاعتقاد .

٦ ــ الممزوج (بين الشريعة والحقيقة) .

٧ ــ الأجوبة الأباتية .

٨ ــ الاجوبة المهمة لمن له بأمر الله همة .

٩ ــ كشف النقاب على فاتحة الكتاب .

١٠ ــ بلوغ الوسع في شرح الآيات التسع .

١١ ــ الشموس الأحمدية في العقائد الاحدية (التوحيد) (ورقات) .

١٢ ــ تفسير البسملة (كراسات) .

١٣ ــ يتيمة اللآليء في الرد على علماء تنيالي .

١٤ ــ البرد الموشى في قطع المطامع والرشى ، (جزءان) .

١٥ ــ الجرعة الصافية والنصحة الكافية .

١٦ ــ زوال الألباس في طرد الشيطان الخناس .

١٧ ــ نزهة الراوي وبغية الحاوي . (جزءان) .

١٨ ــ نضار الذهب في كل فن منتخب (ثلاثة اجزاء) .

١٩ ــ كشف اللبس فيما بين الروح والنفس .

٢٠ ــ نصيحة المنصف المبصر المتعطف . (كراسات) .

٢١ ـ نفح الطيب في الصلاة على النبي الحبيب .
٢٢ ـ جذوة نورانية تبين للسالك ما يعرض له مما هو رباني وشيطاني .
٢٣ ـ الروض الخصيب في شرح نفح الطيب .
٢٤ ـ الرسالة (في التصوف) جزء واحد .
٢٥ ـ جنة المريد (١) .
٢٦ ـ جذوة الانوار في الذب عن مناقب أولياء الاخيار .
٢٧ ـ الكوكب الوقاد في فضل المشايخ والأوراد .
٢٨ ـ ألفية (في اللغة العربية) .
٢٩ ـ فاتحو أفريقيا وقبائلها وملوكها .
٣٠ ـ فتح الودود في شرح تحفة المودود على المقصود والممدود .
٣١ ـ العلم النافع (عشرون ورقة) .
٣٢ ـ التذييل الجليل العادم المثيل .
٣٣ ـ الذهب الابريز (على القرآن الكريم) .
٣٤ ـ كتاب التعارف (في اخبار أهل الزمان) .
٣٥ ـ كشف الغمة .
٣٦ ـ الاجوبة اللدنية (شرح الناصري) .
٣٧ ـ لطائف القدسي في فضائل آية الكرسي .
٣٨ ـ الألباب في الانساب .
٣٩ ـ القصيدة الفيضية (التصوف) .
٤٠ ـ فوائد نورانية وفرائد سرية رحمانية (شرح الاسم الاعظم) .
٤١ ـ الأجوبة الشافية للمختار في حقيقة التقوى والايمان بالله القهار .

---

(١) ورد ايضا في كتب الشيخ سيدي محمد .

مؤلفات الشيخ سيدي محمد

ألف الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ سيدي المختار، العديد من الكتب والمتداول منها اليوم هو :

١ ـ ارشاد السالك الى أقوم المسالك .
٢ ـ الغلاوية .
٣ ـ الفوائد النورانية في شرح الاسم الاعظم .
٤ ـ العقد النظيم في أقوال العلماء في الاسم الأعظم .
٥ ـ نظم الورقات لأبي المعالي الجويني ، أمام الحرمين في الأصول .
٦ ـ الطرائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد .
٧ ـ علم اليقين وسنن المتقين بحسم الاتاوة المزورة بحق المستحقين .
٨ ـ رسالة الى مريد .
٩ ـ رسالة في التصوف .
١٠ ـ وصية (ورقات) .
١١ ـ إقليد الكنوز على ما في الياقوت من الرموز .
١٢ ـ منهج الفعال وشرحه : ترجمان المقال ورافع الاشكال .
١٣ ـ الخاتمة على الأبيات والألقاب، للاجزاء والأعاريض والاسباب (عروض) .
١٤ ـ الوسيلة الكبرى في إصلاح الدين والدنيا والأخرى .
١٥ ـ الفتوحات الدنيا الأشعريات (شرح الصلاة الناصرية الدرعية) .
١٦ ـ بهجة النفوس (في الكلام) .

١٧ ــ كتاب الاسراء (التصوف) .
١٨ ــ الذراري السارية بالأجوبة الخيرة (التصوف) .
١٩ ــ مفسر العقال (التصوف) .
٢٠ ــ التسلم الأسنى الى أسماء الله الحسنى .
٢١ ــ جنة المريد (التصوف) .
٢٢ ــ الاشارة الادرادية (التصوف) .
٢٣ ــ السراج النفيس (التصوف) .
٢٤ ــ الصوارم الهندية في جسم الدعوى المهدية .
٢٥ ــ أوثق عرى الاعتصام للامراء والوزراء والحكام . (آداب الملوك) .
٢٦ ــ شرح المثلث خالي الوسط .

مؤلفات الشيخ باي

مؤلفات الشيخ باي ولد الشيخ سيدي عمر ولد الشيخ سيدي محمد الخليفة :

١ ــ شرح الأخضري في العبادات على المذهب المالكي .
٢ ــ شرح الأجرومية في النحو .
٣ ــ نظم مبطلات الصلاة .
٤ ــ شرح أحاديث المصري .
٥ ــ شرح احمرار بن بونا الجكني على ألفية بن مالك .
٦ ــ كتاب الفتاوى .

وله مكتوب في أصل قبائل امعشر واكتون وايفلان وماسينا وايدنان واكدادين .

لائحة المراجع التي استخدمت في تعريب الكتاب وملحقاته

أ ـ المراجع العربية :

١ ـ المنهل : قاموس فرنسي ـ عربي : تأليف الدكتور جبور عبد النور والدكتور سهيل ادريس ، اصدار دار العلم للملايين ، ودار الآداب ، الطبعة السادسة ميه ١٩٨٠ .

٢ ـ معجم عبد النور : عربي ـ فرنسي ، تأليف جبور عبد النور . اصدار دار العلم للملايين ، الطبعة الاولى بيروت ١٩٨٣ .

٣ ـ لسان العرب لابن منظور ، اصدار دار صادر ، بيروت .

٤ ـ المنجد في اللغة والاعلام الطبعة الثالثة والعشرون بيروت ، دار المشرق .

٥ ـ الأعلام لخير الدين الزركلي ، اصدار دار العلم للملايين بيروت ، مايو ١٩٨٠

٦ ـ تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ، تأليف القاضي الفغ محمود كعت ، مع ذيل لبعض حفدته ، تحقيق هوداس ودلافوس المدرسين بمدرسة اللغات الشرقية بباريس ، إصدار اليونسكو سنة ١٩٦٤ .

٧ ـ تاريخ السودان : تأليف عبد الرحمن السعدي بتحقيق هوداس ، المدرس بمدرسة اللغات الشرقية بباريس ، اصدار اليونسكو ١٩٦٤ .

٨ ـ فتح الشكور في معرفة اعيان علماء التكرور، تأليف أبي عبدالله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي ، تحقيق ابراهيم الكتاني ، ومحمد حجي . اصدار دار الغرب الاسلامي . بيروت ١٩٨١ .

ب ـ المخطوطات العربية :

١ ـ كتاب الطرائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد، للشيخ سيدي محمد ولد الشيخ سيدي المختار الكنتي .

٢ ـ تاريخ ولاته ، وهو سجل يؤرخ لحوادث المنطقة .

٣ ـ تاريخ ولاته ، وهو سجل يؤرخ لحوادث المنطقة .

ج ـ المصادر الاجنبية :

1 — Haut - Sénégal - Niger.
Par
Maurice delafosse. PARIS G. P. Maisonneuve et larose. 1972.

2 — MARTY (Paud)
Etudes sur l'Islam et les tribus du Soudan.
T. 2. : La région de Tombouctou (Islam Songai)
Diennée , le Macina et dépendance (Islam Peul)
Paris : E. Leroux, 1920.

3 — MARTY (Paul)
Etudes sur l'Islam et les tribus du Soudan.
T. 3 : Les tribus maures du Sahel et du Hodh.
Paris : E. Leroux, 1921.

4 — MARTY (Paul)
Etudes sur l'Islam et les tribus du Soudan.
T. 4 : La région de Kayes, le pays Bambara , le Sahel de Nioro.
Paris : E. Leroux, 1920.

5 — MARTY (Paul)
Etudes sur l'Islam et les tribus baures : les Brakna.
Paris : E. Leroux, 1921.

6 — MARTY (Paul)
Le groupement des Bou Kounta : l'influence religieuse des Cheikh maures au Sénégal.
In. Revue du Monde muslman (Paris), T. 31,
1915 - 1916, P. 413 - 442.

7 — MARTY (Paul)
Le Sahara Espagnol (Rio de Oro)
In Revue du Monde musulman (Paris), 46.
1921, p. 161 - 213.

8 — CHRONIQUES
Les chroniques de Oualata et Néma(Soudan Français).
Traduction effectuée par Paul Marty.
In. Revue des études islamiques, (Paris), 1927.

9 — Histoire de l'Afrique Noire.
Joseph Ki - Zerbo.
L. Hatier, Paris 1972.

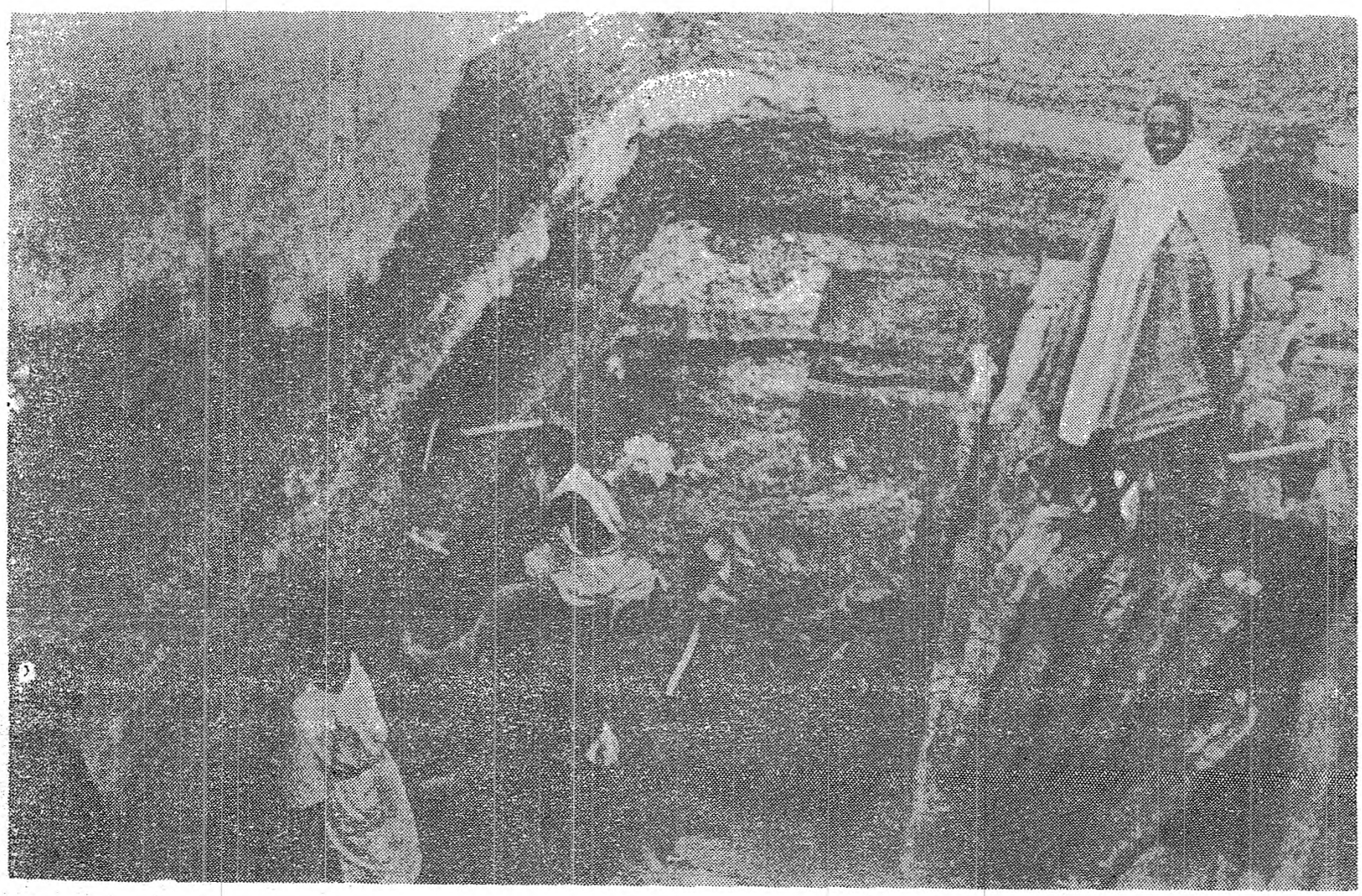

طريقة استخراج الملح في تاودني ١٩٣٥

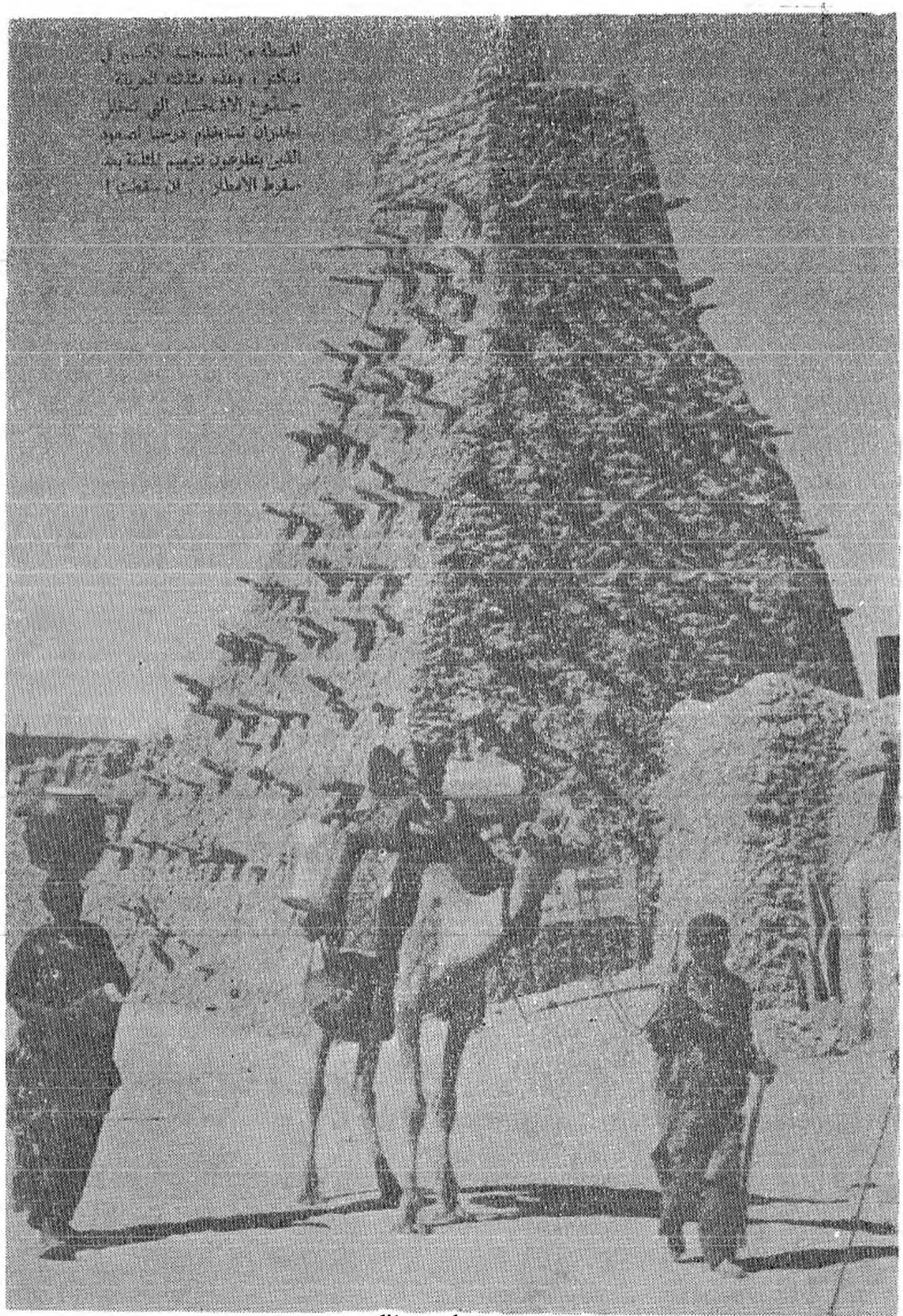

مسجد تينبكتو الكبير

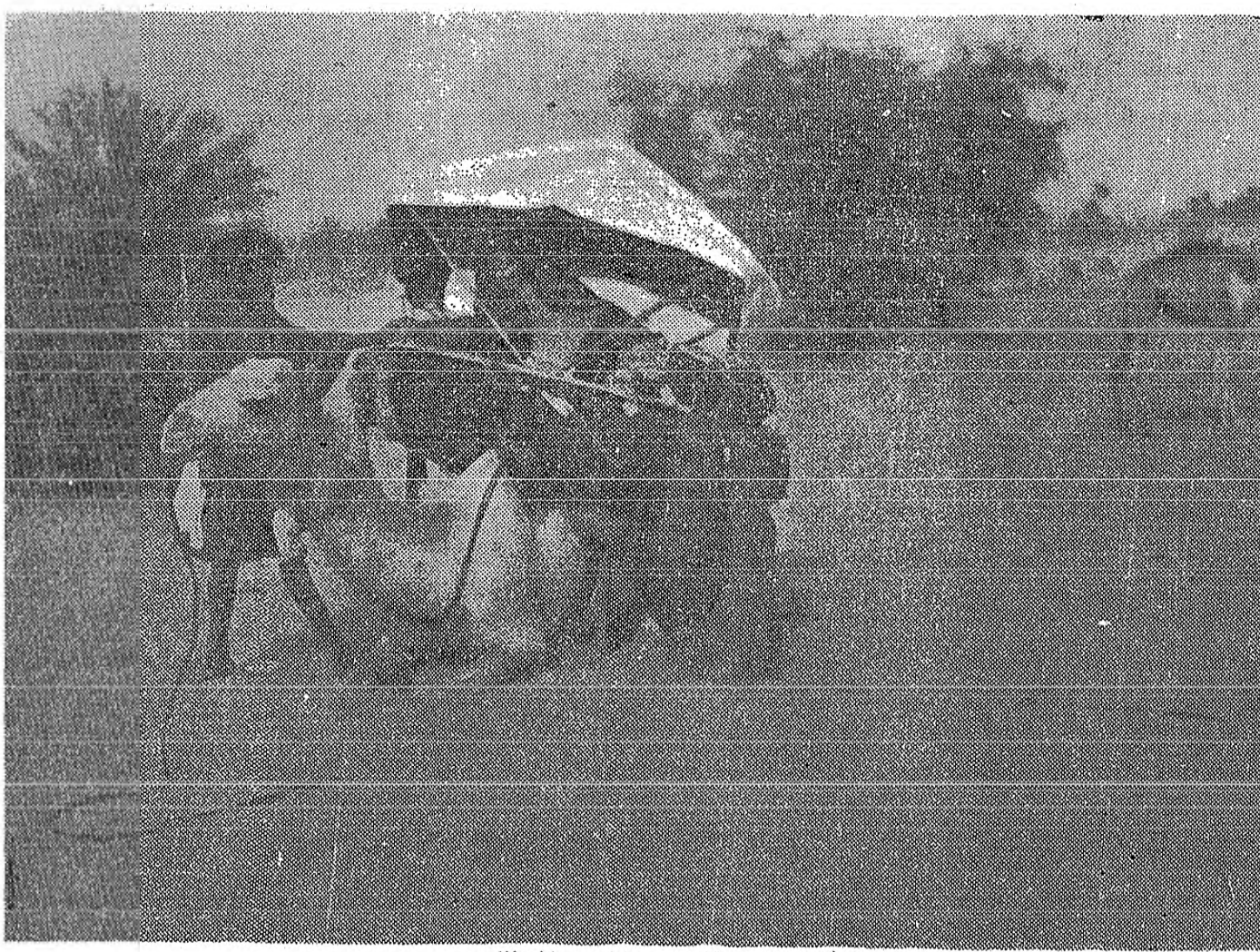

الهودج الموريتاني التقليدي

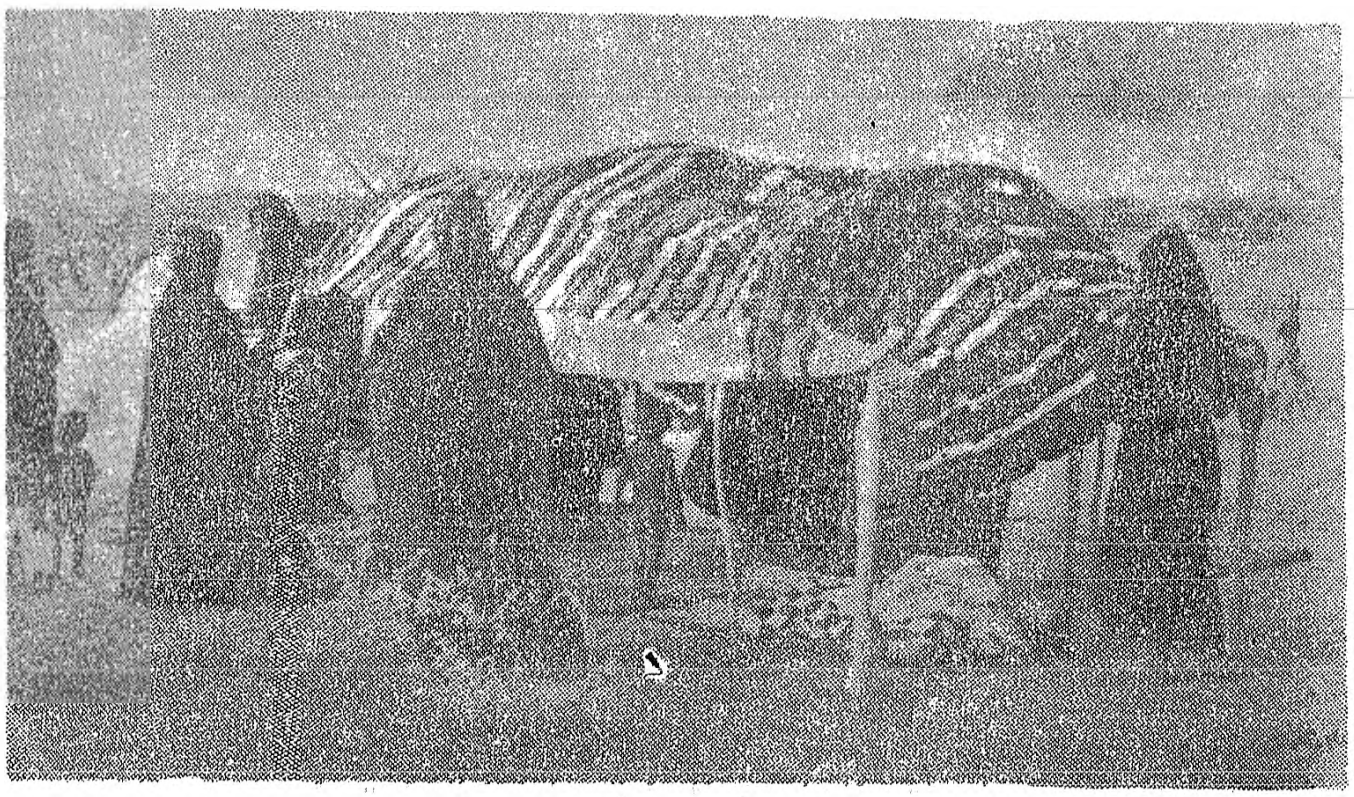

البنية : وهي عادة توضع تحت الخيمة

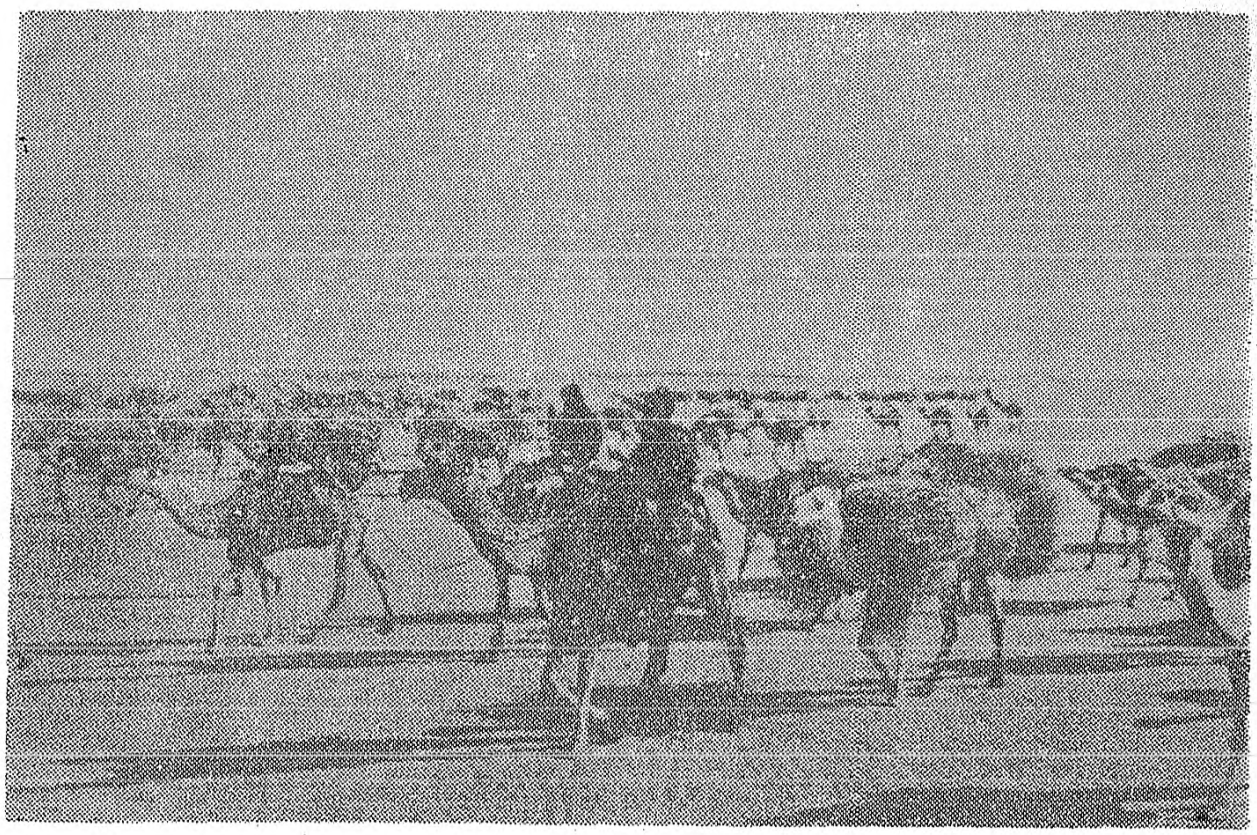

قطيع من الإبل مع دويه يتجهون إلى تينبكتو
وهم يحملون علف الإبل ، صورة من سنة ١٩٣٥

استراحة الشاي قبل الوصول الى ناودني

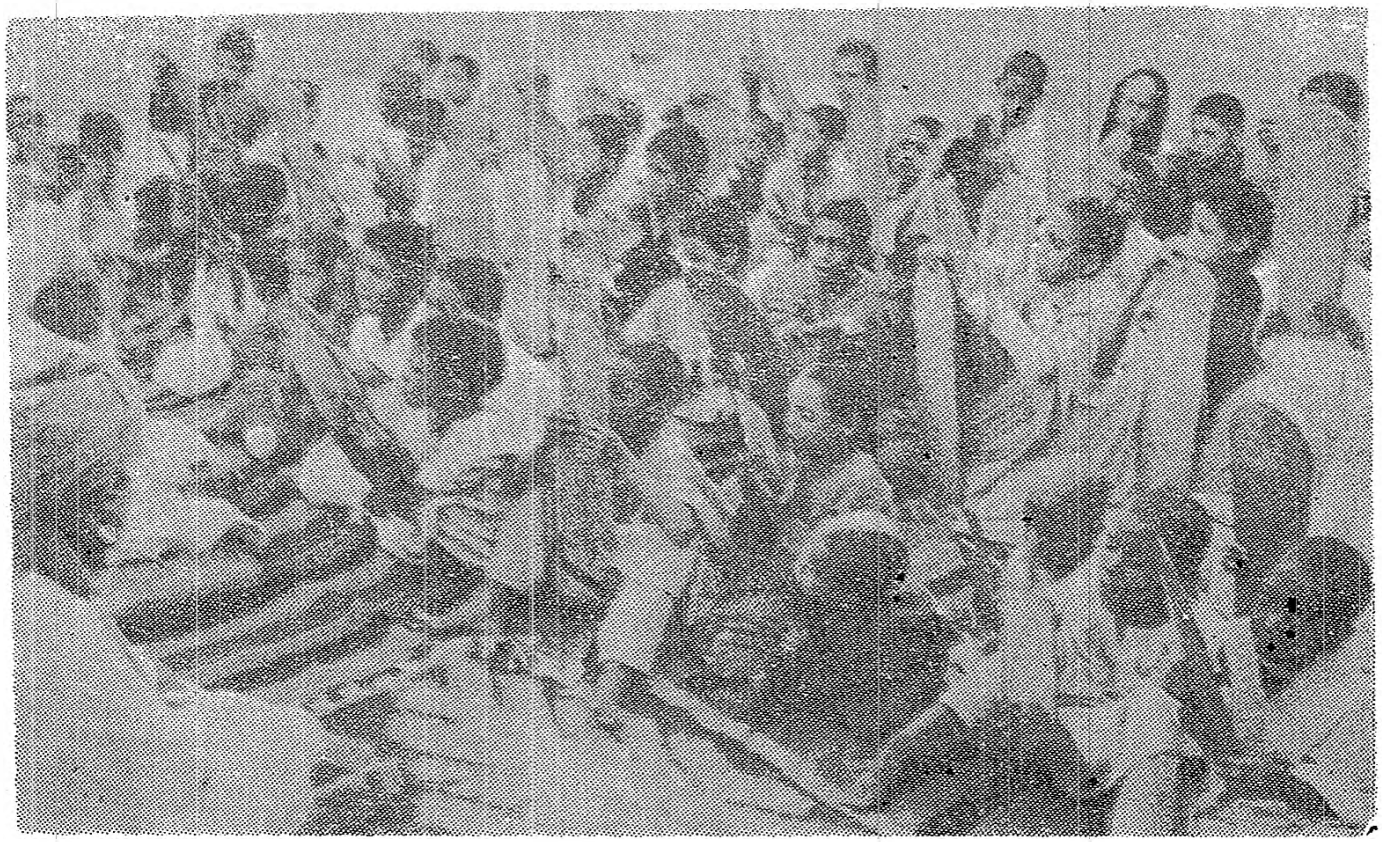

محظرة بالقرب من تينبكتو